كلية الآداب بقنـــــا
قســـم الاجتماع
====

مبادئ علم الاجتماع

الفرقة الأولى– الفصل الدراسي الأول
قسم علم الاجتماع

دكتور

الســيد عــوض علي عيسى

أستاذ علم الاجتماع

١٤٤٤هـ – ٢٠٢١ م

مقدمة

لم يعد علم الاجتماع فقط علمًا مستقلًا حيث تنطبق عليه كل الخصائص العلمية الموضوعية من حيث الموضوع والمنهج والقوانين، وانما أصبح علم الاجتماع مولدًا ومنبعًا للعلوم الاجتماعية والطبيعية على حد سواء كالأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع الاقتصادي، والديني والسياسي والجنائي، والسكاني، والجمالي، والقانوني، والأخلاقي، والريفي والحضري، والتربوي، والطبي، والهندسي، والبيولوجي .....الخ.

ولقد أصبحت دراسة الاجتماع لا غنى عنها للأفراد والجماعات خصوصًا أولئك الذين يهتمون بأحد موضوعاته المتشعبة حيث يُدَرَس في كثير من أقسام كليات الآداب والتربية والشرطة والشريعة، والدراسات الاسلامية والعربية، والخدمة الاجتماعية والكليات العسكرية والشرطية بل ، و يُدَرَس في كليات الطب والهندسة والزراعة وغير ذلك.

ويهتم علم الاجتماع بالدراسة المنظمة لأشكال التفاعل الإنساني ويتم ذلك من خلال الأحداث التاريخية والمعتقدات والتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر على الفرد والأسرة والجماعة الاجتماعية الأكبر وتتخذ العديد من المستويات المحلية والقومية والإقليمية والعالمية.

كما أن الدراسة العلمية الجادة تقتضي بحث الظواهر الاجتماعية بحثًا موضوعيًا لا دخل للعواطف ولا للأهواء الشخصية فيه، وأن ترتكز هذه الدراسة على أسس علم الاجتماع النظرية والتطبيقية فمشكلات علم الاجتماع لا تأتي كما يقول "رايت ميلز" من أن بعض الباحثين يبدأ بالفكر –صوغ

النظريات – أو بالملاحظة –الاهتمام بالأبعاد الإمبريقية، ولكنها تأتي من عدم تحديد نوع الفكر ونوع الملاحظات أو العلاقات القائمة بينها.

وحيث إن العلاقات بين الزمان والمكان والثقافة تؤدي إلى نتائج اجتماعية مختلفة، فإن الضرورة تقتضي أشكالا مختلفة من البحوث الاجتماعية، فمن خلال الدراسات الأنثروبولوجية توصل الباحثون إلى أنه لا يمكن التوصل إلى قوانين عامة يمكن تطبيقها على كل البشرية. فالفرد الذي يعيش في مجتمع معين يجد نفسه خاضعا من تلقاء نفسه لما يسود في هذا المجتمع من عقائد وتقاليد ونظم، وليست هذه النظم من صنع إرادات الأفراد، بل إنها مظهر ضروري لعوامل حتمية أخذت تتفاعل فيما بينها، ويؤثر بعضها في بعض حتى انتهت إلى الحالة الراهنة، وهذه الحالة سوف تتطور تبعًا لتطور الظروف والمؤثرات التي أوجدتها.

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكن القول أن المشروعات الإصلاحية إن لم تكن قائمة على أساس بحوث سوسيولوجية موضوعية مستفيضة متعمقة تلم بأطراف البحث من جميع نواحيه ، لن يُكتب لها النجاح ، فالتأصيل السوسيولوجي للقضايا الاجتماعية يتطلب دراسة كافة عناصر أي قضية اجتماعية ، ومدى ارتباط كل عنصر بالبناء الاجتماعي ومدى تأثيرها وتأثرها بالقضايا الأخرى .

وعلى أية حال فهناك قضية عامة مؤداها أن تقدم الأمم ورقيها يقاس بمدى اعتماد قادتها على ما يقدمه علم الاجتماع من قضايا حول كافة الأمور في المجتمع. وآمل أن يكون هذا الكتاب اسهامًا متواضعًا من الكاتب في الدراسات السوسيولوجية .

الفصل الأول

علم الاجتماع

ماهيته ، وموضوعاته

ما هو علم الاجتماع

لقد حاول كثير من علماء الاجتماع تحديد مفهوم ثابت يمكن مـــن خلاله تعريف هذا العلم . ويمكن القول إن تعريفاتهم لعلم الاجتماع تدور في إطار ثلاثة محاور رئيسية وهي كما يلي :

المحور الأول :

وهي تلك التعريفات أو المفاهيم التي تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمـــع Sociology is the science of society study

ومن أشهر العلماء الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علـــم دراســـة المجتمع هم "جورج لندبرج ، ورينيه منوييه وإيلي سنوي ولستر وارد" .

ويمكن تعريف المجتمع بأنه "مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضهم عادات وتقاليد ودين ولغة والأرض ، بل وتاريخ مشترك وأهداف واحدة تنظم علاقاتهم مع بعضهم البعض" .

المحور الثانى :

ويتعلق بالمفاهيم التي تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة الظـــواهر الاجتماعيـــة Sociology is the science of social phenomenon study

ومن أشهر علماء الاجتماع الذين اهتموا بتحديد مفهوم علم الاجتماع باعتباره علم دراسة الظواهر الاجتماعية ، هم "أميل دور كايم وموريس جينزبرج" .

والظاهرة الاجتماعية كما حددها "دور كايم" بأنها " كل ضرب من السلوك، ثابت أو غير ثابت، ويمكن أن يباشر نوعًا من القهر الخارجي على الأفراد " أو هي " سلوك يعم المجتمع بأسره، وكان ذو وجود اجتماعي مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية .

ومن تعريف "دور كايم" السابق للظاهرة الاجتماعية يمكن القول بأن للظاهرة الاجتماعية ثلاثة مكونات أساسية هي كما يلي:

١ – تعد الظواهر الاجتماعية بمثابة نظم اجتماعية قائمة ، وهذا يعني أن الظواهر الاجتماعية تعد بمثابة سلوكيات جماعية يتم التعبير عنها في صورة تنظيمات وممارسات لها صفة القهر والإجبار .

٢ – إن الظواهر الاجتماعية تتكون من الرموز الجماعية والقيم والمثل والأفكار، فالظواهر الاجتماعية تعد بمثابة أنساق من القيم .

٣ – أن الظواهر الاجتماعية تتكون من حالات الضمير الجمعي وهي الآمال والتخيلات أو الصور الجماعية، التي ترد على الضمير الغيري الإيثاري، والتي تمثل القاعدة التي يرتكز عليها أي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية . فالظواهر الاجتماعية توجد خارج الفرد، وتأتي إلى عقله كشيء خارجي في صورة قواعد دينية أو قانونية أو أخلاقية أو منطقية، وطالما أنها تكون مصحوبة عادة بقوة قهرية إجبارية فإن ذلك

يساعدها على أن تعرض نفسها على الفرد بصرف النظر عن رغباتـــه الفردية.

المحور الثالث:

ويتعلق هذا المحور بالتعريفات أو المفاهيم التي تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم نظري تجريبي موضوعي.

ومن أشهر علماء الاجتماع الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علـــم نظري موضوعي تجريبي كل من "جون ركس وداتكن ميتشل" .

فعلم الاجتماع علم نظري ذلـــك لأنـــه فـــي دراســـته للظـــواهر الاجتماعية يهدف إلى المعرفة العلمية حيث إن الباحـــث السوســـيولوجي يهدف من وراء دراساته إلى اكتشاف الحقائق ، ومدى انتظـــام حـــدوث الظواهر في الحياة الاجتماعية ، بغض النظر عن استخدام هذه الحقـــائق في التطبيق العملي ، فالباحث السوسيولوجي يسعى إلى التوصل للنتـــائج العلمية ولا يهتم بتطبيق هذه النتائج على المجتمع حيث إن مهمة التطبيق العملي تقع في دائرة اختصاص العلوم الاجتماعية التطبيقية .

وعلم الاجتماع علم تجريبي حيث أن علم الاجتماع لكـــي يكـــون علما بالمعنى الدقيق فلا بد أن يكون علما تجريبيا مثل غيره من العلـــوم الطبيعية (الكيمياء والفلك والطبيعة) حيث إنه بدون هذا التجريب سيصبح علم الاجتماع نوعًا من الفلسفة أو فلسفة التاريخ.

ويقصد بالتجريب في علم الاجتماع ما يلي:

١ – عدم التسرع في الحكم علـــى نتـــائج الظـــواهر الاجتماعيـــة دون ملاحظتها .

٢ – ضرورة الاعتماد على طرق ومناهج وأدوات بحث علمية في الوصول إلى أية نتائج عن أية ظاهرة اجتماعية .

٣ – عدم كتابة أو قول أي شيء عن أية ظاهرة اجتماعية دون كشف أو إثبات ، وعن طريق الحقائق نفسها .

وعلم الاجتماع علم موضوعي حيث أن الباحث السوسيولوجى يجب أن يكون غير متحيز أو متعصب عند دراسته لمشكلة معينة ، أو عند ملاحظته للظواهر الاجتماعية وترددها . ويجب على الباحث السوسيولوجى أن يتخلى تماما عن النظرة الذاتية ، ويتخلى أيضا عن التحيز أو التعصب لدين أو وطن أو طبقة أو أيديولوجية معينه دون أخرى وذلك في أثناء دراساته لأية مشكلة اجتماعية .

والهدف من دراسة علم الاجتماع فهم المجتمع الذي نعيش فيه من أجل الإسهام في حل مشكلاته والتزود بالمهارات اللازمة لمعالجة قضاياه الاجتماعية .

الظواهر الاجتماعية

يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية والغرض منها الوصول إلى الوظيفة التي تؤديها هذه الظواهر والنظم والقوانين التي تحكمها .

والظواهر الاجتماعية هي تلك الظواهر التي تنجم عن تجمع الناس معا وتفاعلهم بعضهم مع بعض ودخولهم في علاقات تبادلية وتكون ما يطلق عليه الثقافة المشتركة أي الاتفاق على أساليب معينه للتعبير عن

أفكارهم ورموز معينة تؤدى إلى دلالات محددة ، كما أنهم يتفقون على قيم محددة وأساليب معينة للتعاون الاقتصادي .... الخ .

ومن أهم الخصائص التي تتسم بها الظواهر الاجتماعية :

(١) الموضوعية والشيئية والخارجية :

فالظواهر الاجتماعية ليست إحساسا أو شعورا داخليا أو خيالاً وإنما هي حقيقة موجودة بصورة واقعية خارج كياننا الذاتي ويمكن دراستها بصورة ما باعتبارها شيئا يشغل حيزا في الزمان والمكان . فنحن كباحثين في علم الاجتماع لا نتعامل مع ما ينبغي أن يكون وإنما نتعامل مع ما هو موجود أو قائم فإن بحوثنا تدور حول ظاهرة الزواج وليس الأفراد المتزوجون . فظاهرة الزواج شيء والأفراد المتزوجون شيء آخر . فالظاهرة توجد في كل مجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل دون أن تتأثر بتغير الأفراد .

وقد قرر دور كايم هذه الصفة قال يجب دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء قاصدا بذلك أن يقوم الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية بعيدة عن الأفكار السابقة ووجهات النظر الخاصة . فهي أمور واقعية لا يمكن أن تمتزج بميولهم وغرائزهم . فالظاهرة الاجتماعية مستقلة عن الأفراد بحيث يمكن ملاحظتها كأشياء منفصلة عن الحياة الفردية ، وبالتالي يمكن دراستها دراسة موضوعية إذا ما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الإحصائي .

(٢) التلقائية :

فالظواهر الاجتماعية تنشأ عادة بصورة تلقائية لإشباع الحاجات الضرورية ، فهي ليست من صنع الفرد ولكنها تنبثق من تلقاء نفسها تلبية حاجات العمران والاجتماع الإنساني ولهذا فهي من خلق المجتمع أو من صنع العقل الجمعي . فالظواهر الاجتماعية لا تدين بوجودها لفرد لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد .

إلا أن تطور الظواهر الاجتماعية يختلف في بعض الأحيان فمنها من يتطور بصورة تلقائية كالظواهر المتعلقة بنظام الأسرة ونظام الفن ونظام اللغة . ومنها من يتطور بطريقة شعورية عقلية مقصودة وتسير وفقا لخطة مرسومة كالظواهر المتعلقة بالنظم الاقتصادية والقضائية .

(٣) الإلزام والجبرية والقهرية :

للظواهر الاجتماعية قوة تفرض نفسها على الأفراد وتوجب كل منهم أن يسير حسب تعاليمها سواء اتفق ذلك مع رغبته الفردية أم لم يتفق . رضاى أم كره فهو مجبر على الأخذ بها ، ومن يخرج عليها يلقى مقاومة عنيفة بالجزاء المادي أو التحقير الاجتماعي . فإذا اعتدى شخص على آخر تعرض لطائلة القانون ، وإذا أفطر شخص في شهر رمضان تعرض لسخرية الجماعة وتهكمها ، فمن يحاول الخروج على طبيعة الحياة في مجتمعة بما يحيوه من نظم وظواهر اجتماعية عليه أن يتحمل الجزاء الذي وضعه المجتمع لكل من يخالف نظمه وقيمه .

وعلى الرغم مما تمارسه الظواهر من قهر وإلزام على الأفراد إلا أن هذا الإلزام أو القهر محبب إلى النفس حيث إن التنشـــئة الاجتماعيـــة تعمل على ترويضها لتقبل الأوضـــاع الاجتماعيـــة والتمســـك بمعـــايير المجتمع بما تجعلنا نجد أنفسنا مدفوعين إلى احترامها وصيانتها .

وهذه الخاصية يسميها بعض العلماء بالجاذبية تلك التـــي تخفـــف شعور الأفراد بجبرية وإلزام الظواهر الاجتماعية .

(٤) النسبية :

تتميز الظاهرة الاجتماعية بالنسبية فهي لا تسير على نمط واحـــد في كل المجتمعات وإنما تتباين وتختلف في المجتمع الواحد طبقـــا لبعـــد الزمان وتختلف كذلك بين مجتمع وآخر طبقا لبعد المكان وهذا كله فـــي ضوء معايير وقيم المجتمع حيث نلاحظ تباين أشكال الظواهر الدينية مثلا باختلاف المجتمعات فمنها من يأخذ بوحدانية الإله ، ومنها من يتجه إلى التعدد ، ومنها من يعبد الشمس أو البقر .. ... الخ . كما نلاحـــظ حاليا التباين في أشكال ظاهرة الزواج فهناك بعض المجتمعـــات تأخـــذ بنظام تعدد الأزواج وهو نظام موجود ومقبول عند بعض أقوام الإسكيمو ولدى أقوام الباهيما في وسط أفريقيا ، ولماذا نذهب بعيدًا ففي إســـرائيل نظام اقتسام أو تبادل الزوجات وهو نظام معلن في عديد مـــن وســـائل إعلامها .

(٥) العمومية :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها عامة ومنتشـــرة ويشـــارك فيهـــا مجموعة كبيرة من أفراد المجتمع فهي ليست من الأمور الفرديـــة التـــي يختص بها الأفراد مثل الظواهر النفسية المتعلقة بـــالإدراك والوجـــدان والنزوع.

فالظاهرة الاجتماعية ظاهرة تاريخية سابقة الوجود على الوجـــود الفردي فالفرد يولد في الحياة وتقوم الأسرة بتنشئته اجتماعيًا وعلـــى أن يكون مواطنًا صالحًا فاضلًا وتكيفه وفقا للأوضاع والأساليب والظـــواهر الاجتماعية . ولعل ذلك يجيب على التساؤل الذي يراودنا كثيرا ومـــؤداه هل الفرد سابق في وجوده على المجتمع أم المجتمع سابق فـــي وجـــوده على الفرد ؟ ولماذا ؟ من وجهة نظري أرى أن المجتمع سابق على الفرد فحينما دبت الحياة البشرية على هذه الأرض بان خلق الله سبحانه وتعالى آدم وخلق حواء من ضلع آدم وجدا أمامهما نظامًا اجتماعيًا . ومن وجهة النظر السوسيولوجية فان وجود الكيان الجمعي سابق على وجود الفـــرد فنحن نتعلمه بعد الولادة من الأسرة وباقي المؤسسات فـــالمجتمع أســـتاذ الفرد ومعلمه الأول .

(٦) الترابط والتساند والتكامل :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بالترابط حيث يؤثر بعضها في البعض الآخر ويفسر بعضها البعض الآخر ، فهى لا تعمل منفـــردة ولا يمكـــن دراستها منعزلة فكل ظاهرة اجتماعية تؤثر في الظـــواهر الاجتماعيـــة وتتأثر بها في الوقت نفسه ، وكل تغير في أية ظاهرة يؤثر في غيرهـــا

من الظواهر . فمثلا الظاهرة الاقتصادية من حيث الدخل تؤثر في الأسرة من حيث مستوى المعيشة كما أن الظواهر الاقتصادية مرتبطة أشد الارتباط بالأوضاع السياسية والأخلاقية والتربوية . كما أن الظاهرة الاقتصادية تؤثر على ظاهرة التدين فيكثر مثلا عدد الحجاج وتزداد المشروعات الخيرية ... الخ ، كما أن الدين يؤثر في الحالة الاقتصادية فمثلا للدين تأثير كبير في القوة الشرائية على بعض السلع في إطار عملية التحليل والتحريم ، فالهند هناك البعض يحرم لحوم البقر ، وتحرم الدول الإسلامية لحوم الخنزير وشرب الخمر فتقل أسعارها .

الفصل الثاني
تاريخ علم الاجتماع

مقدمة

أولا : الفكر الاجتماعي في الشرق القديم

ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان

ثالثا : الفكر الاجتماعي الروماني المسيحي

رابعا : الفكر الاجتماعي الإسلامي

مقدمة :

نشأ علم الاجتماع بين أحضان الفلسفة ، وقد استقل عنها حينما أكتمل عودة ووصل إلى مرتبة العلم المستقل ، وكانت لـــه مجالاتـــه الخاصة وقوانين دقيقة كغيره من العلوم ، وله مناهج علميـــة قائمـــة على الملاحظة والتجربة وفرض الفـــروض ومحاولـــة اختبارهـــا ، واستطاع العلماء المحدثون التوصل علـــى نتـــائج وقـــوانين أمكـــن صياغتها في صور كمية بل ومعادلات رياضية ورسوم بيانية عـــن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج .

وإذا ما حاولنا تتبع تطور الفكـــر الاجتمـــاعي فـــإن بعـــض المفكرين ذهبوا إلى القول بان بدء تاريخ الدراسات الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها أول صـــورة للتفكيـــر الإنســـاني المنظم غير أن التسليم بهذا يهضم عظمة الفلسفة الشرقية وهي سابقة في ظهورها على فلسفة اليونان ، فبلاد الشرق كانت بمثابة التربـــة الخصبة والأصلية التي نبتت فيها بذور الفلسفة ثم انتقلت إلى بـــلاد اليونان حيث نمت وازدهرت .

أولا : الفكر الاجتماعي في الشرق القديم :

لم يحظ هذا الفكر بقدر من الاهتمام الذي خطى به الفكر الغربي القديم وذلك لسببين هما :

١- تعمد علماء الغرب تجاهل هذا الفكر تحت تـــأثير التعصـــب والرغبة في إظهار أصالة الفكر الغربي وحده دون غيره .

٢- جهل علماء الغرب بلغات دول الشرق القديم كالفرعونية والفارسية والصينية القديمة .

ففي مصر القديمة عرف الفراعنة أدق نظم الحكم ووضعوا من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكثير . وفى الهند ظهرت صور مختلفة من العادات والتقاليد والعقائد التي كان لها تأثيرها على أنماط السلوك وأساليب التفكير الاجتماعي والسياسي ، وفي الصين القديمة ظهرت طوائف من الحكماء والفلاسفة الذين درسوا موضوعات تدخل في صميم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية حيث نجد فلسفة كونفوشيوس حكيم الصين التي لا زالت تعد من بين الفلسفات الإنسانية التي تحاول أن تضع حلولا عملية للمشكلات التي يعاني منها أفراد المجتمع .

إلا أن هذه الأفكار الفلسفية للشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة بنظام معين بعكس فلاسفة اليونان الذين استطاعوا أن ينظموا معارفهم تنظيماً منهجياً موضوعياً فبدأ تفوقهم على فلاسفة وحكماء الشرق القديم .

ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان :

يعد هذا الفكر ذو أثر عظيم في العالم القديم وفي أوربا وغيرها في العصور الوسطى كذلك ، ولقد وجد في اليونان القديمة ثلاثة من

أعظم مفكري ذلك العصر سقراط ثم أفلاطون ثـم أرسـطو وكـان الأول أستاذ الثاني ، والثاني أستاذ الثالث .

(١) سقراط (٤٦٩ – ٣٩٦ ق . م) :

لقد أكد سقراط على ضرورة وجود معايير ثابتة للأقطار والقيم الاجتماعية ومنها اعتبار الفضيلة وسطا بين رذيلتين ، وقد حاول في معرض حديثه عن الفضيلة والرذيلة التعرض إلى أسـباب السـلوك المنحرف ، وذهب إلى أن الفرد لا يقدم على فعل الشر عن وعـي وإدراك كاملين ، وإنما يتم ذلك نظرًا للجهل وانعدام البصـيرة ولـو عرف الإنسان الفضيلة لأقدم عليها ، فالجهل أسباب الرذيلة وأساس السلوك المنحرف ، أما السلوك السوي فمرده إلى العلم .

كما كان لسقراط اتجاه تجريبي في البحث الاجتمـاعي مـن خلال الحوار واستطلاع أوجه النظر بحيث تنتهي الآراء المتناقضـة وتستقر على قاعدة واضحة المعالم .

لم يكتب سقراط شيئًا ، إلا أن تعاليمه تستخلص ممـا كتبـه تلميذاه زينوفون وأفلاطون ، فالأول وضح تـاريخ حياتـه ، وفنـد انتقادات خصومه ، والثاني شرح أراءه السياسية والاجتماعية ولكنه صاغها بأفكاره الشخصية .

(٢) أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) :

قرأ أفلاطون كتب الفلسفة واستمع إلى أحد أتباع هيراقليطس ، ولما ناهز العشرين من عمره عرف سقراط وأعجب به ولزمه إلـى النهايـة

ثماني سنوات ، ثم سافر إلى عديد من دول العالم ومنها مصر وقضى بها ما يقرب من العام . وعلى الرغم من انتساب أفلاطون إلى الطبقة الأرستقراطية ، وأن نشأته كانت في بيت من الحكام وكان أجداده من الملوك والمشرعين إلا أن أفلاطون كره المجتمع الأثينى وعاب عليه تفانيه في حب المادة ، هذا فضلا عن أن المجتمع الأثينى كان يعيش في مشكلات عديدة نتيجة سيطرة أسبرطة على أثينا فعاشت فترة من حكم الطغاة استعادت بعدها النظام الديمقراطي .

ولقد عرض أفلاطون معظم آرائه في كتابه " الجمهورية " وكان يهدف من عرضه لهذا الكتاب إلى وضع أسس للمدينة الفاضلة تلك المدينة التي تخلو من الشرور والآثام وتظلها العدالة والمساواة ، ترفرف عليها الفضيلة من كل جانب ، وتشرف عليها طبقة الفلاسفة ، فالمجتمع عنده ينقسم إلى ثلاث طبقات :

١ – طبقة الفلاحين والصناع وهي تأتى في أدنى السلم الاجتماعي ومهمتها تأمين المجتمع وضمان حياة الطبقتين التاليتين ، وهي الطبقة الوحيدة التي يحق لها التملك وتكوين أسرة .

٢ – طبقة الجند .

٣ – طبقة الفلاسفة والحكام .

ويرى أفلاطون أن الطبقتين الثانية والثالثة لا يحق لها التملك أو تكوين أسرة حيث أن مهمتها الأساسية هي إدارة شئون المجتمع وحمايته.

وفي تصور أفلاطون أن كل طبقة من هذه الطبقات يجب أن تتحلى بفضيلة معينة وذلك لكي يقوم هذا البناء الطبقي بوظائفه ، فطبقة الحكام يجب أن تتحلى بفضيلة الحكمة والفطنة ، أما طبقة الجند فيجب أن

تتحلى بفضيلة الشجاعة وحب المخاطرة ، وأخيرًا فإن طبقة العمال يجب أن تتحلى بفضيلة الاحتمال والتعفف .

(٣) أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٣ ق . م) :

هو تلميذ أفلاطون واستاذ الإسكندر الأكبر ويطلق على ارسطو اسم " مؤسس علم ما قبل علم الاجتماع " لأنه كان أول باحث في العصور القديمة يلجأ على المنهج الاستقرائي أي جمع المعلومات ثم ترتيبها واستنتاج عدد من القواعد العامة منها أي القيام بما نسميه اليوم المسح الاجتماعي .

إن التراث الذي تركه أرسطو كان له أثر على كثير من العلوم الاجتماعية ولذا فنحن العرب نطلق عليه المعلم الأول احترامًا لعلمه وتقديرًا لمكانته .

ويمكن تلخيص فلسفة أرسطو من الناحية العلمية في أربعة آراء هي :

الأول : البحث عن الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي وسياسي وهذا هو الجانب الاجتماعي والسياسي .

الثاني : البحث عن الإنسان من حيث أنه عضو في جماعة له حقوق وعليه التزامات وهذا هو علم الأخلاق .

الثالث : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر وهذا هو علم المنطق .

الرابع : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر يريد أن يعبر عما يجول في خاطره من صور وحكم وهذا هو علم البيان .

وعلى الرغم من أن أرسطو يعد تلميذاً لأفلاطون إلا أنه يختلف عن أستاذه حيث أكد أرسطو على الجوانب العملية الواقعية في حين أن تأكيد أستاذه كان ينصب على الجوانب المثالية ، حيث أن أفلاطون أطلق عليه الفيلسوف الواقعي .

ولقد أشار أرسطو على عديد من القضايا نذكر بعضاً منها :

١ – إن الانسان كائن اجتماعي سياسي بطبعه ، فالإنسان مرتبط تمام الارتباط بالحياة في مجتمع ولا يمكن فهم الانسان بمفرده معزولا عن الإطار الاجتماعي .

٢ – إن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع أو الوحدة الاجتماعية الأولى حيث يرى أرسطو أن الأسرة تتكون من الزوج والزوجة والأبناء والعبيد ، الزوج هو رب الأسرة لأن الطبيعة وهبته العقل الكامل أما الزوجة فهى ربة البيت ، والأبناء هم الاستمرارية في الأجيال المقبلة ، أما العبيد فهم ضرورة اجتماعية وهم أقل قدره من حيث العقل ومهمتهم هي خدمة أفراد الأسرة .

وعلى ذلك فإن أرسطو فرق بين الناس ، بين الرجل والمرأة ، وبين السيد والعبد ، وهو يرى أن هناك ثمة فروق بين الشعوب حيث يرى أن شعوب الشمال الجليدي تتسم بالشجاعة ولكنهم خلو من الذكاء وأن شعوب الشرق تتسم بالذكاء ولكنهم خلو من الشجاعة أما الشعب اليوناني فقط هو الوحيد الذي يجمع بين الشجاعة والذكاء .

٣ – أن المجتمع كائن حي يخضع لقانون الولادة والنمو والموت وهذا معناه أن التغير هو الشرط الوحيد لحياة المجتمعات .

٤ – أن الدولة هي الارتباط السياسي للمدينة .

٥ – أن القوانين هي وسيلة الدولة في تنظيم حياة المواطنين .

٦ – أن العدالة لا تتحقق إلا بواسطة تطبيق القانون الأخلاقي الذي يدور حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية .

٧ – اشتهر أرسطو كذلك بنظريته في الوسط أو ما يسمى أحياناً الوسط السعيد فهو يرى أن السعادة هي الفضيلة وأن الفضيلة وسط بين إفـــراط وتفريط ، فمثلا الشجاعة وسط بين طرفين بين الجبن والتهور وكلاهمـــا رذيلة ، والكرم وسط بين طرفين التقتير والإسراف وكلاهما رذيلة والحلم وسطا بين طرفين هما الغضب والتبلد . والفضيلة ليست أمر فطريا ولكن يتعلمها الانسان كما يتعلم أي فن .

٨– كما أشار أرسطو إلى أهمية الفن وخاصة المسرح والشعر المسرحي واعتبر أن المسرح مجال للتنفيس عن مشاعر الانســـان مثـــل الخـــوف والغضب والحزن وهذا التنفيس يتم أثناء مشاهدة الأعمال المسرحية وما تزخر به من مواقف تزدحم فيها هذه المشاعر ، فإذا شاهدها الشـــخص على المسرح واندمج فيها فانه يتخفف من ضغط المشاعر عليه .

٩– يرى أرسطو أن الإنسان يتكون من مادة وصورة المادة هي جســـمه والصورة هي نفسه ، وحيث لا وجود لمادة فقط أو صوره فقط فكذلك لا يوجد إنسان بجسم فقط أو نفس فقط .

ثالثا : الفكر الاجتماعي الروماني والمسيحي :

١ – القديس أوغسطين :

عالج القديس أوغسطين في كتابه مدينة الله عديد من الموضوعات مثل الحق الطبيعي ، والحق الإلهي والاتجـــاه الإنســـاني ودور العقيـــدة

الدينية في تدعيم العلاقات الإنسانية وتقويمها على أساس من المبادئ الأخلاقية .

أهم أفكاره :

١) إن نظام الملكية مصدره قدسي وضرورة قيام الدولة بالحفاظ على هذا النظام .

٢) إن نظام الرق يعد نظامًا ظالمًا من وجهة نظر الإنسانية الخالصة ، بينما يعد نظامًا طبيعيًا يتمشى مع العدل الإلهي بوصفه نتيجة لخطيئة الانسان وإنه يوقع الجزاء الرادع على البشرية .

٢- القديس توما الأكويني (١٢٢٥ : ١٢٧٤)

أهم القضايا التي تناولها هي أن المجتمع الديني يقوم على ثلاثة أفكار :

١ – أن الإنسان اجتماعي بطبعة وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للإنسان لكي يحقق اغراضه .

٢ – أن المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الآمال المشتركة التي يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم .

٣ – لابد من وجود سلطه عليا لكي توجه المجتمع نحو الصالح العام كما يرى أن الظروف المناخية لها آثر على العادات والتقاليد حيث سمو المناطق المتوسطة والمعتدلة . تفوق الشعوب المسيحية عن عداها أن السلطة الكنسية يجب أن تسبق السلطة السياسية .

رابعاً : الفكر الاجتماعي الإسلامي :

من أهم رواد الفكر الاجتماعي الإسلامي ما يلي:

(١) الفارابي :

هو أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي ، ولد في مدينة فاراب في إقليم خراسان بتركستان حوالي عام ٢٥٩ هـ - ٨٧٢ م وتوفى في دمشق عام ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م وهو من المفكرين المسلمين الذين لاقت دراساتهم إهتمامًا كبيرًا حتى لقب بالمعلم الثانى . وذلك بعد أن أطلقوا على أرسطو : المعلم الأول فضلاً عن تأثره بآراء أفلاطون المثالية .

وأهم الكتب التي ألفها في مجال الفكر الاجتماعي ، كتابان قيمان أحدهما : " كتاب السياسات المدنية " والآخر " آراء أهل المدينة الفاضلة " والكتاب الثاني هو أشهر مؤلفاته وأصدقها تعبيرًا عن آرائه الاجتماعية . وغاية الفارابي في هذه الكتاب واضحة ، وهي تكوين مجتمع فاضل على غرار جمهورية أفلاطون ، وضع لقيامه منهجًا ورسم في بحثه المبادئ الرئيسية التي يقوم عليها وقسم الفارابي كتابة قسمين : عرض في القسم الأول منهما الدعائم التي يريد أن يقيم عليها مدينته المثالية . أما القسم الثانى الذي يعنينا في الدراسات الاجتماعية فكان تخطيطًا للقواعد التي أراد أن يرسى عليها مدينته الفاضلة ، وشرح المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها المدينة ، التي تمنى أن تكون . ولقد جاء الفارابي إلى مصر فترة قصيرة ، وكان كثير الترحال ميالاً إلى الزهد والتقشف ، لا يحفل بأمر مسكن ، لم يكنز المال ، لم يتزوج كان يؤثر العزلة ، ويحب الموسيقى .

وأهم المسائل التي عالجها الفارابي : تحليل الضرورة الاجتماعية وتقسيم المجتمعات ، ودعائم المدينة الفاضلة ، وصفات رئيسها .

أما عن الضرورة الاجتماعيـــة ، أي ضـــرورة وجـــود الاجتمـــاع الإنساني فهو يقرر – كما يقرر أرسطو – أن الإنسان مدني بالطبع ، أي أن الاجتماع الإنساني فطرة ، فإن الإنسان محتاج من الناحيتين الماديـــة والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس في وسعه أن يستقل بآدائهـــا وإشـــباعها لنفسه منفرداً فلأبد من التعاون مع بنى جنسه حتى تتحقـــق الغايـــة مـــن الاجتماع الإنساني.

ولكي تتم سعادة الإنسان ، لأبد أن يشمل التعاون جانبيـــه الروحـــي والفكري من ناحية ، والمادي أيضاً من ناحية أخرى .

ثم ينتقل الفارابي بعد ذلك إلى تقسيم المجتمعـــات ، فيقســـمها إلـــى مجتمعات كاملة ، ومجتمعات ناقصة أي غيـــر كاملـــة ، والمجتمعـــات الكاملة هي التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بأكمل صوره ، وأرقـــى مظاهره . والمجتمعات الكاملة تنقسم إلى ثلاثة أشكال هي :

١- المجتمع العالمي . ٢- المجتمع الأوسط .

٣- المجتمع الأصغر .

أكملها المجتمع العالمي ثم المجتمع الأوسط ثم المجتمع الأصـــغر . والمجتمع العالمي يشمل اجتماع أهل المعمورة كلهـــا ، أمـــا المجتمـــع الأوسط فيشمل اجتماع الأمة ، في حين أن المجتمع الأصـــغر فيشـــمل المدينة .

والمجتمعات الناقصة هي التي لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة .

والمجتمعات الناقصة أو غير الكاملة تنقسم الغ ثلاثة أشكال هي :

١- مجتمع القرية الذي يشمل سكان القرية .

٢- مجتمع الحي الذي يشمل سكان الحي .

٣- مجتمع المنزل الذي يشمل أفراد أسرة واحدة .

ووجه الفارابي مزيد عنايته إلى مجتمع المدينة لأنها أبسط أشكال المجتمعات الكاملة ، ولبنته الأولى ، ويقرر ، وهو المفكر المسلم أن هذه المدينة لأبد أن تدين بالدين الإسلامي خاضعة لحاكم مسلم ، أي أنه من الضروري قيام الوحدة الدينية في هذا المجتمع المثالي ، لأن هذه الوحدة من شأنها أن تعزز الوحدة الروحية والسياسية .

والمدنية الفاضلة في نظر الفارابي هي التي يتعاون أفرادها على الأمور التي تتحقق بها السعادة ويختص كل واحد من أفرادها بالعمل الذي يحسنه والوظيفة التي يتهيأ لها بطبعه وحسب استعداده .

ويشترط الفارابي فيمن يصلح لتولى رياسة المدينة أن يكون ذا صفات متعددة بعضها أصيل والآخر مكتسب ، أما الأصيل منها فعددها في أثنتى عشر فضيلة هي أن يكون تام الأعضاء سليم الحواس ، وأن يكون جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ والفهم ذكيًا فطنا ، حسن العبادة ، محباً للعلم ، وأن يكون بطبيعته كارها للذات الدنيوية غير شره ، محبا للصدق وأهله ، وأن يكون محبا للكرمة ، تعاف نفسه ارتكاب الدنايا ، وأن تكون أغراض الدنيا عنده هينة ، محبا للعدل وأهله ، قوي العزيمة لا يضعف أبدًا ولا يخاف ، وأما الصفات المكتسبة فيراها في أن يكون

حكيمًا ، عالمًا جيد الاستنباط ، قادرًا على ابتكار الـــنظم والتشـــريعات ، عالماً بكل تشريع قديم ، ثم أن يكون قوي البدن قادرًا على قيادة الجيوش كلها .

والواضح أنه من المتعذر في الواقع وجود رجل فرد تتوافر فيه كل هذه الصفات جميعًا ، إن لم يكن هذا المطلب العقلي والنفسي والفكـــري والروحي من باب المستحيل .

والفارابي لا يكتفى بضرورة توافر هذه الشروط في رئيس المدينـــة بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيقول إن أفراد المدينة لا تتحقق ســـعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلا إذا كانوا على غرار رئيســـهم وأصـــبحوا صـــورة منه.

ومثل هذه المدينة التي أرادها الفارابي لا يمكن فـــي الواقـــع إلا أن تظل في مجال التمنيات الطيبة . وعلم الاجتماع يرفض أن يجعل محـــل دراسته التمنيات التي يستحيل تحقيقها في مجتمع الناس العـــاديين مـــن أوساط البشر الذين يكونون الكثرة في أي مجتمع بشري .

(٢) ابن خلدون :

من أقواله " إن من أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق " .

وهو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد فـــي تونس في أول رمضان ٧٣٢ هـــ الموافق ٢٧ مـــايو ١٣٣٢ م وتـــوفى بالقاهرة في ٢٥ رمضان ٨٠٨ هـــ الموافق ١٥ مارس ١٤٠٦ م .

وينتسب ابن خلدون إلى أسرة عربية يمنية في حضرموت . ولقد غادر ابن خلدون تونس وهو في العشرين من عمره بعد أن حدث الطاعون وهلك والداه وبعض شيوخه ، ولم يعد إلى تونس إلا بعد ٢٦ عامًا تنقل خلالها في كثير من بلاد المغرب وإسبانيا ، واتصل بسلاطين تلك البلاد وتولى كثيرًا من الأعمال السياسية ، ورفعته السياسة حينا حتى وصل وزيرًا وخفضته حينا آخر حتى صار سجينا ، فسئم العمل السياسي واعتزله سبع سنوات من ١٣٧٥ م إلى ١٣٨٢ م ، كتب فيها مقدمته المشهورة " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " .

" ولقد استقر به المطاف في مصر وخاصة في كل من الإسكندرية والقاهرة وكان الأزهر الشريف هو المأوى الأخير له حيث كان يحاضر في الأزهر وزادت أعداد تلاميذه ومريديه .

ويمكن هنا عرض أهم الموضوعات التي تناولتها مقدمته :

١- الاجتماع الإنساني (موضوعه ، أهميته ، منهجه) :

دعا ابن خلدون في مقدمته إلى جعل العمران البشري موضوعًا لعلم مستحدث ، ويقول إن واقعات هذا العمران تحكمها في الواقع قوانين ثابتة لابد أن تكون غاية هذا العلم استنباطها والكشف عنها ، ويقول أيضًا " وكأن هذا علم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع ، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني ، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته ، واحدة بعد الأخرى ، وهذا شأن كل علم وضعياً كان أم عقليًا .

ويقصد ابن خلدون من كلمة " العوارض الذاتية " والتي استعملها كثيرًا في مقدمته ، ما نقصد نحن من كلمة قوانين .

- ويؤكد ابن خلدون أن دراسته التي أتمها على ذلك الوجه لم يسبقه بها أحد وفي هذا يقول " وأعلم أن هذا الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أوجده الباحث وأدى إليه الغوص " ثم يقول " وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمرى لم أقف على كلام في منحاه لأحد من الخليقة " .

- وهكذا يتضح لنا إن ابن خلدون قد دعا في مقدمته إلى ضرورة إنشاء علم لدراسة الظواهر الاجتماعية أطلق عليه علم العمران البشري . كما قام بوضع الأسس العلمية والمنهجية التي يجب على كل باحث في المجتمعات البشرية أن يلتزم بها ، وهكذا يمكن الجزم بأن ابن خلدون هو أول عالم يقرر صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد وأنه المنشئ الأول لعلم الاجتماع ، لأنه أول من استكمال الخصائص المنطقية التي يجب توافرها في كل علم من حيث الموضوع والمنهج والأغراض التي يرمي إليها . فالفضل في إنشاء علم الاجتماع يعود إلى المفكر العربي المسلم ابن خلدون ، لا كما يدعى الإيطاليون الذين ينسبون فضل ذلك إلى فيكو ١٦٦٨ – ١٧٤٤ ، ولا كما يدعي البلجيكيون الذين يعتبرون أن

أدولف كتيليه ١٧٩٦ – ١٨٧٤ م هو أول من استخدم الفيزياء الاجتماعية ، ولا كما يدعي الفرنسيون أن أوجست كونت ١٧٩٨ – ١٨٥٧ م بأنه مؤسس علم الاجتماع بلا منازع ، فتاريخ علم الاجتماع وبشهادة علماء الغرب أنفسهم أمثال جمبلوفتش ، بل وأرنولد توينبي الذي ذكر صراحة بأن مقدمة ابن خلدون وما تتضمنه من أفكار تعد أعظم عمل من نوعه لا يمكن لأي عقل أن يجود يمثله في أي عصر أو أي مكان " – هذا التاريخ أي تاريخ علم الاجتماع يؤكد أن هناك مفكرًا عربيًا قبل هؤلاء جميعًا بنحو أربعة قرون أقام صرح هذا العلم على أسس منهجية ودرس مسائلة واستنبط قوانينه وهو ابن خلدون .

- ولقد اهتم ابن خلدون بتوضيح أغراض وميادين علم العمران البشري ؛ حيث يرى أن لهذا العلم أغراض مباشرة وأغراض غير مباشرة . وتتلخص الأغراض المباشرة في ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ، والوقوف على القوانين التي تخضع لها (أغراض نظرية) ، أما الأغراض غير المباشرة فهي تتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في حقائق التاريخ وتحليل الأخبار وتعليل الأحداث (أغراض عملية) .

- ويعد ابن خلدون من أهم مؤرخي المسلمين . وقد أسماه البعض مؤسس علم التاريخ ، لأنه ذهب إلى أن التاريخ فرع نوعي من المعرفة يهتم بكامل مجال الظاهرات الاجتماعية للتاريخ الفعلي ويكشف المؤثرات المختلفة التي يعمل فيها وباستمرار الأسباب والنتائج وبالمكونات الفيزيقية والنفسية .
- ويعرف ابن خلدون التاريخ تعريفاً اجتماعيًا فيقول " يهدف التاريخ إلى إفهامنا الحالة الاجتماعية للإنسان ، ويعني الحضارة ، ويهدف كذلك إلى أن يعلمنا الظواهر التي ترتبط بهذه الحضارة وإلى معرفة الحياة البدائية وتهذيب الأخلاق وروح الأسرة والقبيلة .
- ويقسم ابن خلدون مقدمته إلى ستة فصول تستوعب تقريباً كل فروع علم الاجتماع المعروفة لدى الاجتماعيين المحدثين وهي على التوالي :

١- الفصل الأول وعنوانه " العمران البشرى على الجملة " وبعد هذا الفصل أساسًا لعلم الاجتماع العام .

٢- الفصل الثاني وعنوانه " في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل " وهي أبحاث في أصول المدنيات القديمة ، ويكاد يختص بها علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا وكذلك علم الاجتماع البدوي .

٣- الفصل الثالث وعنوانه ط في الدولة العامة والملك والخلافة والتراتيب السلطانية " وهو دراسات لمسائل السياسة والحكم ن

وأصبحت اليوم موضوع علم الاجتماع السياسي وكذلك علم الاجتماع القانوني .

٤- الفصل الرابع وعنوانه " البلدان والإحصاء وسائر العمران " وهو مجموعة من البحوث في النظم العمرانية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع المهني .

٥- الفصل الخامس وعنوانه " في المعاش ووجوهه في الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك من الأحوال " وهو دراسات للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع الاقتصادي .

٦- الفصل السادس وعنوانه " في العلوم واكتسابها وتعلمها " وهو دراسات تربوية ولغوية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع التربوي.

ويثبت ابن خلدون بهذه المعالجة لمختلف مجالات العمران البشرية الحقيقية التي مؤداها " أن الاجتماع ضروري للنوع الإنساني " حيث إن قدرة الواحد من البشر تعجز عن أن تحقق حاجته ، فبالتعاون بين أبناء جنسه يحصل قدر الكفاية من الحاجة .

كما أن التعاون يحقق البقاء والاستمرار والدفاع عن الجنس البشرى ضد مصادر العدوان . ويقول ابن خلدون " إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر وتم عمران العالم بهم ، فلأبد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، ويكون هذا الوازع واحدًا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك .

* أما عن المناهج الملائمة لبحث موضوع العمران البشرى طبقاً لوجهة نظر ابن خلدون :-

هناك ست قواعد للمنهج الذي استخدمه ابن خلدون وكشف به علمه الجديد وهي :-

١- الشك والتمحيص .

٢- التشخيص المادي .

٣- تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران .

٤- القياس بالشاهد والغائب .

٥- السير والتقسيم .

٦- الحيطة عند التعميم .

واتبع ابن خلدون الخطوات الآتية :-

١- الاعتماد على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها .

٢- تعقب الظواهر في تاريخ هذه الشعوب بنفسها في العصور السابقة لعصره .

٣- تعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها .

٤- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً والتأمل في مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات ، كذلك تحديد العلاقات التي

تربطها بعضها ببعض والعلاقات التي تربطها بما عــداها مــن الظواهر الكونية .

٥- استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر من قوانين .

* ويؤكد ابن خلدون في إطار استخدامه للمنهج التاريخي أن على الباحث ألا يقبل شيئًا على أنه صدق أو حق الا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك ، أي يجدر به ألا يتأثر بآراء سابقيه أو يتخذ من الأساطير وآراء الآخرين غير المؤكدة أساساً لدراسته .

ويفرق ابن خلدون هنا بين التاريخ الوقائع ، الذي لابد فيهــا مــن الاعتماد على مقاييس تفرز الغث من السمين ، وتميز الحق من الباطل ، وبين العمران البشرى والاجتماع الإنساني وكأنه علم مستقل بنفسه ، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاتــه واحــدة تلــو الأخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقليًا .

كما أهتم ابن خلدون بمنهج المقارنة بين ماضي الظاهرة وحاضرها ، وأكد على أهمية وصول العلم إلى صوغ القوانين التي تحكم العمــران من خلال الملاحظة ، والتحليل والتفسير في إطار تاريخي حتى يمكــن الوصول إلى القوانين التي تحكم المجتمع .

٢- المحاكاة والقهر الاجتماعي :

يرى ابن خلدون أن الناس الذين يعيشون معــاً يحــاولون محاكــاة بعضهم بعضاً ويتجه هذا الميل نحو اقتداء الأدنى بــالأعلى - أو تقليــد

المغلوب للغالب ، حيث إن النفس ترى الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ، ويعد هذا أحد أنماط التقليد – تقليد المغلوب للغالب – التي عرضها ابن خلدون والتي تمثل ما هو معروف لدينا في الدراسات الثقافية العلاقة بين الثقافة الأعلى والثقافة الأدنى خلال عمليات الانتشار الثقافي ، فالثقافة الأعلى تؤثر في الثقافة الأدنى بشكل أكبر وأكثر فاعلية ، فالمغلوب كما يقول ابن خلدون مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ، نحلته ، وسائر أحواله وعوائده ، فالنفس تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه .

وهناك تقليد الأبناء للآباء وهو النمط الثانى من أنماط التقليد عند ابن خلدون .

والنمط الثالث من أنماط التقليد هو ما يمكن تسميته بالتقليد الحضاري حيث يقول ابن خلدون " أهل الدولة أبداً يقلدون في طور الحضارة وأحوالها ، للدولة السابقة قبلهم ، فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون " وهذا يماثل عمليات الاتصال الطوعي السائدة حاليًا .

* ويؤكد ابن خلدون في كتاباته على فكرة " القمر الاجتماعي " أو القهر الاجتماعي الذي تمارسه العادات والتقاليد الاجتماعية على الأفراد والجماعات ، فلقد سبق ابن خلدون دوركايم في إشارته إلى جبرية الظواهر .

٣- نظرية التطور التدريجي :

يقرر ابن خلدون أن من أهم الخصائص التي تمتاز بها ظواهر الاجتماع الإنساني أنها لا تتجمد على حال واحدة بل تختلف أوضاعها

باختلاف الأمم والشعوب وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور ، فمن المستحيل أن نجد أمتين تتفقان تمام الاتفاق في نظام اجتماعي . وفي طرائق تطبيقية ، كما أنه من المستحيل أن نجد نظاماً اجتماعياً قد ظل على حال واحدة في أمة ما ، في مختلف مراحل حياتها ، تصدق هذه الحقيقة على شئون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وسائر أنواع الظواهر الاجتماعية حتى ما يتعلق منها بشئون الأخلاق ، ومقاييس الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فما يكون خيراً في مجتمع قد يكون شراً في مجتمع آخر ، وما تعده أمه ما فضيلة قد تره أمه أخرى رذيلة ، وما يراه شعب مباحاً يراه شعب آخر محظوراً ، بل قد يصل الأمر إلى أن الشيء الواحد كثيراً ما يختلف الحكم عليه من الناحية الخلقية في أمه ما باختلاف عصورها ، فتغير العمران حقيقة أساسية وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال .

ولقد فطن ابن خلدون إلى أن هناك نوعين من التغير الاجتماعي :

١- المباينة بالجملة : أي التغير التدريجي في العمران كله أو في جزء من أجزاءه .

٢- التبدل بالجملة : أي التغير الجذري الذي يخلق نمطاً جديداً ومجتمعاً جديداً يخالف المجتمع السابق عليه تماماً .

٤- المجتمع من وجهة نظر ابن خلدون :

المجتمع من وجهة نظر ابن خلدون يشبه الكائن الحي يظهر إلى الوجود طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم يصيبه الهرم ويزول .

ويرى ابن خلدون أن هناك خمسة أطوار للدولة :

١- طور الاستيلاء على الملك .

٢- طور الاستبداد بالحكم .

٣- طور الفراغ لتحصيل ثمرات الملك .

٤- طور القنوع والمسالمة .

٥- طور الإسراف والتبذير .

فالمجتمع شأنه شأن الكائن يحيى ويموت ، بل يرى ابن خلـــدون أن عمر الدولة حوالي ١٢ . عاماً مقسمه إلى ثلاثة أو أربعة أجيال

- الجيل الأول : جيل البداوة والتوحش والافتراس .
- الجيل الثانى : جيل التحول بالملك والترفه من البـــــداوة إلـــــى الحضارة.
- الجيل الثالث : جيل الترف والنعيم والحضارة .
- الجيل الرابع : جيل الاضمحلال والانهيار .

٥- الإنسان والبيئة :

* العلاقة بين الإنسان والبيئة هي موضوع دراسة علم اجتماع البيئة .

ولقد قام ابن خلدون بتقسيم العالم إلى سبعة أقاليم وفسر على أساس هذا التقسيم انتشار العمران والمدن والأمصار بل وازدهار الحضـــارات وتزايد السكان وترف العيش ... الخ .

أسوأ الأقاليم هي الإقليم الأول والثاني لارتفاع الحـــرارة والإقلـــيم السادس والسابع لإفراط البرودة ، وإن أفضل الأقاليم هو الإقليم الرابـــع

لأنه أكثر الأقاليم اعتدالا في المناخ ويتبعه كل من الإقليم الثالث والخامس.

وهو يرى أن الشرق العربي أحسن مناطق العالم لأنه معتدل بين الحرارة الزائدة في الجنوب والبرودة الشديدة في الشمال ، وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال في جميع أحوالهم وأخلاقهم قريبه من خلق الحيوانات .

ويقول ابن خلدون في تأثير المناخ في مزاج الناس وسلوكهم بأن الهواء الساخن يبعث على النشوة والدعابة والمرح والطرب ، أما سكان المناطق الباردة فإنهم متحفظون لا يظهرون مشاعرهم بسهولة ، كما أنهم لقسوة الظروف الجوية تجدهم يتميزون بالتدبر والتدبير في المعيشة ، ولهذا يدخرون من أقواتهم ما يكفيهم مدة طويلة ، وعلى أية حال فإن ابن خلدون يعطي أهمية كبرى للعامل المناخي الجغرافي في حياة الإنسان والمجتمع فيجعل البيئة الجغرافية محددة لنمط المعيشة ، ومؤثرة في العادات والتقاليد ، وفي نظم الحكم ، وشئون الأسرة ، بل قل مؤثرة في البنية والميول .

٦- الحياة البدوية والحضرية :

يفرق ابن خلدون بين نوعين من الحياة البدو والحضر على أساس المهنة فالبدو يحترقون الزراعة والرعي وأما الحضر فيحترقون التجارة والصناعة ، وأن المجتمع البدوي والمجتمع الحضري ضروري لأنهما مجتمع طبيعي ، إلا أن المجتمع البدوي أقدم من المجتمع الحضري واصل له وهو أفضل أخلاقاً وأكثر خبره منه لأنه يكفي بضروريات

الحياة ، فهو أقرب إلى الفطرة الأولى ، كما أنه أقرب إلى الشجاعة من المجتمع الحضري ، فأهل البدو يقومون بالدفاع عن أنفسهم بحكم كونهم ذي عصبية ونسب واحد ، ومن هنا يكون بينهم التعاقد . ونتيجة لحياة القاسية التي تحياها المجتمعات الوحشية وقوة ارتباطها بصلة النسب فإنها تكون أقدر على التغلب على من سواها ، ولذلك فإنها كثيراً ما تغلبت على المجتمعات الحضرية وأخضعتها لنفوذها ، وعندئذ ينتهي المجتمع البدوي إلى مجتمع حضري ويمارس الملك وكل المظاهر الحضارية . حيث يرى ابن خلدون أن انتشار الترف في المدينة يؤثر تأثيراً سلبياً في أخلاق سكانها وفي علاقاتهم البشرية ، فالتفنن في الترف يترتب عليه انتشار الرذائل المعجل بخراب المدن وهذا معنى قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا " .

إن ما عرضه ابن خلدون في هذا الموضوع يعد أساسًا لعلم الاجتماع الريفي والحضري .

٧- الاجتماع السياسي :

أسهم ابن خلدون في هذا النوع من علم الاجتماع إسهاماً أصيلاً حيث يقرر " بأن الناس محتاجون إلى سلطة فالحكم طبيعي في الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع ، وأن العمران البشري لابد له من سياسة ينتظم بها أمره ، ولأبد أن تكون هذه السياسة معتدلة بعيدة عن فرض المغارم السلطانية ، والمكوس على الرعايا حيث إن ذلك يدفعهم إلى مزيد من الأعمال التي تؤدي إلى كثرة الاعتمار .

ولقد عقد ابن خلدون عدة فصول من المقدمة لمناقشة ما أطلق عليه مصطلح العصبية وأثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية صلتها بالدولة في مختلف أطوارها وعهودها ، والعصبية ببساطة تعني الرابطة القرابية التي تؤدي دورًا في الحياة الاجتماعية في الأقطار العربية علـــى وجـــه الخصوص ولابد في تكوين الدولة من ظهور الزعامة المستندة إلى قـــوة العصبية .

* ويشرح ابن خلدون كيفية قيام الدولة حيث يميز بين المجتمعات البدائية فهناك العشيرة والقبيلة والإتحاد القبلي ، وأن الرياسة إنما تكون لـــذوي العصبية الضيقة الأقوى ، وأن كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا ذو عصبيه واحدة لنسبهم العام ، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب أخرى هي أشد التحامًا من النسب العام لهم مثل عشيرة واحدة أو أصـــل بيـــت واحد أو أخوة بنى أب واحد فهم ينفردون بالتعصب لنسبهم ن ويتمسكون بأن تكون الرياسة منهم فيتناقلونها من أب إلى أب داخل عشيرتهم ، مـــا دامت هي الأقوى فإذا أضعفت انتقلت الرياسة إلى عشيرة أخـــرى فـــي القبيلة نفسها أو الإتحاد القبلي .

والعصبية بما تنطوي عليه من قوة وغلبة هي أساس الحياة السياسية وقيام الدولة بأن الغلبة التي تهدف إليه العصبية هي المُلك ، وهذا يعنـــي أن المُلك درجة أعلى من الرياسة لأن الرياسة لصاحب العصبية الـــذي ليس له اتباع ، أما الملك فهو لصحب للعصبية الذي له اتباع من أصحاب العصبيات الأخرى .

ويفسر ابن خلدون أسباب انهيار الدولة كما يلي :

١- انغماس القبيلة في الترف .

٢- سيطرة ولاة الأعمال على الدولة ثم الانعزال وتكوين الدولة الجديدة والاستبداد .

٣- ظهور طبقة مسيطرة تراعى مصالح السلطان وتتجاهل المصالح العامة .

حيث يقول ابن خلدون لا عز للدولة إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، ومن أبرز أنواع العدل من وجهة نظر ابن خلدون العدل الاقتصادي .

٨- الاجتماع الاقتصادي :

اهتم ابن خلدون في مقدمته بعده موضوعات تدخل في صميم علم الاجتماع الاقتصادي .

حيث أعطى للعوامل الاقتصادية الصدارة في تفسير حال الدول وهو ما عبر عنه في بدء مقدمته أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء ... فلأبد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه . ويعطى ابن خلدون أهمية كبرى للعمل ويرى أن قيمة الشيء تتمثل فيما بذل فيه من عمل " إذا ليس هناك إلا العمل ، فالأعمال هي القوة الأساسية الكامنة وراء الحركة العمرانية تنشط بنشاطها وتتقلص بتدهورها .

كما وضح ابن خلدون مفهوم العمل الإنساني وقيمته وهو يصنف الأمم وفق طراز الإنتاج بها :

فالمرتبة الأولى يأتي الحضر مع مختلف الصنائع ثم يجئ الزراع المجتمعون في القرى ، وأخيراً يأتي البدويون .

على أية حال فإن اليونانيين والعرب ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الفكر الاجتماعي من خلال قيام بعض لمفكرين في اليونان والعرب بمناقشة مسألة التنوع الثقافي والحضاري بين الشعوب في الأزمنة السابقة على عصر النهضة إلا أن اهتماماتهم كانت قاصرة على جمع المادة الاثنوجرافية دون أن يكون هناك أية محاولة جادة وسليمة للتنظير ويجب أن نستثنى من ذلك عبد الرحمن ابن خلدون باعتبار أن مقدمته تتضمن المادة الاثنوجرافية والتنظير معاً . حيث إن الآراء التي عرضها ابن خلدون تشدنا إلى كثير من جوانبها فهى ليست رؤية تراثية بقدر ما هي رؤية تتسم بالدينامية والاستمرارية .

الفصل الثالث

أوجست كونت

أوجست كونت

ولد في مونبلييه بفرنسا ١٧٩٨ – ١٨٥٧ . ويعد واحدًا من رواد علم الاجتماع وهو أول من أدخل مصطلح علم الاجتماع ١٨٣ . . أهتم أوجست كونت بوضع أسس هذا العلم وموضوعه الذي هو دراسة المجتمعات البشرية .

إن تاريخ حياة كونت يلقى ضوءاً كبيراً على اتجاهه الفكري فالمذهب الوضعي الذي يدل على شغفه بالدراسة العلمية وكراهيته للجدل

الميتافيزيقي لم يكن غلا نتيجة لدراسته الرياضية في مدرسة الهندسة الحربية حيث أكسبته تلك الدراسة عقلية علمية لا تخضع إلا لما تثبته المشاهدة والتجربة .

كما أن اهتمامه بالسياسة راجع إلى أنه عاصر الآثار المباشرة التي ترتبت على الثورة الفرنسية ، وروعة النتائج الهدامة لهذه الثورة وخاصة ما تعلق منها بالتفكك الاجتماعي والفوضى واضطراب النظام الأخلاقي ، وحالة الفقر المادي والثقافي الذي عانت منه كثير من الجماعات الاجتماعية . وذلك ما جعل كونت يسعى في الواقع إلى إصلاح المجتمع من الفساد والفوضى خاصة أنه كان يعمل سكرتيراً لسان سيمون الذي اكسب كتاباته الحماس والطابع الإصلاحي .

أما عن اهتمامه بالناحية الدينية ورغبته في تحقيق الوحدة الدينية أو ما أطلق عليه دين الإنسانية فهذا راجع إلى عدة اعتبارات منها انه ولد بجنوب فرنسا ، وورث عن والدته تدينها كما أنه في عام ١٨٤٤ تعرف على سيده في الثلاثين من عمرها تدعى كلوتيلد دوفو كانت على مستوى عال من الجمال والفكر أثرت تأثيراً عميقا في حياته واتسمت آرائه بطابع جديد جعلتا أشبه أن تكون برسالة دينيه ونظرا لمرضها فلم يستطع كونت إلا أن يكون صديقاً مخلصاً لها وتحولت العلاقة إلى نوع من الامتزاج الفكري ونوع من التقديس . وقد ظهرت هذه العاطفة بشكل واضح بعد وفاتها في عام ١٨٤٦ حيث احتل الرثاء في كتاباته مكانا لم يكن يقرره من قبل ووهب حياته بأسرها لعمله .

ولقد أدى تأثره بمعبودته إلى أنه كتب إحدى عشر رسالة فلسفية في ديانة الإنسانية جعلها على هيئة حوار بين امرأة وبين راهب يمثل الإنسانية.

عاش كونت بعد هذه المأساة حياة كلها زهد وتقشف على أن انتابته أزمة حادة في الخامس من سبتمبر ١٨٥٧ أدت إلى وفاته بين الكثير من أتباعه .

ولقد تأثر كونت أيضا بالفلسفة السائدة في عصره حيث اعتمد على الأفكار المعرفية التي طورها هيوم وكانت في صياغة تصوره عن العلوم الوضعية . ومما هو جدير بالذكر أن الدائرة المعرفية التي اعتمد عليها كونت في صياغة تصوراته كانت واسعه إلى حد كبير حيث اشتملت على كل العلوم والمعارف السائدة في عصره ، حتى انه يمكن القول إن علم الاجتماع الذي دعي إليه أوجست كونت كانت نتاجاً لعمل تركيبي من الدرجة الأولى حيث ربط بين كتابات أرسطو وفتسكيو وكوندرسيه بطريقه مبدعه ومبتكره . أهتم كونت بإسهامات فلاسفة التاريخ من أمثال فيكو وكانت وهيجل . ووجد في كتابات كل من آدم سميث وأدم فيرجسون بعض الأفكار الهامة التي تفسر التغيرات التاريخية التي تشهدها النظم الاجتماعية ، وحينما حاول كونت صياغة الجوانب الطقوسية من ديانته الجديدة استعان بأفكار "دي مستر" .

وباختصار شديد يمكن القول إن الاتجاه الفكري لأوجست كونت كان اتجاهًا تركيبيًا . كما أن فكرة لم يكن إلا انعكاس لما كان يعانيه المجتمع الفرنسي في ذلك الوقت . فلقد أخذ على نفسه أن يصلح المجتمع الفرنسي من الفساد والفوضى المترتب على الثورة ، فلقد كان الإصلاح

غاية حيث يرى كونت أنه لابد من ربط الفلسفة بالحياة ، فإصلاح المجتمع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أصلحت الأخلاق وأن الأخلاق لا تستقيم إلا إذا تحقق الاتفاق بين العقول ، وهذا ما حدث بالفعل بعد الثورة الفرنسية التي أطاحت بالنظام القديم ووجهت النقد الشديد إلى الديانة المسيحية التي عجزت عن متابعة خط العلم في ذلك الوقت .

كذلك لم يكن من المستطاع قهر الناس على العودة على الوراء ، ولهذا رأى كونت انه من العبث البحث عن أسس الأخلاق في الديانة المسيحية بل لابد من البحث عن أساس آخر لها ، وليس هذا الأساس غلا العلم الوضعي ، فالاضطرابات الأخلاقية إذن في نظر كونت ليس مرجعها الأسباب السياسية بقدر ما يرجع على الاضطراب الفعلي ، وهو يرى أن الذين يحاولون إصلاح المجتمع من الناحية السياسية دون بحث عن الاتفاق العقلي والعاطفي بين الناس هؤلاء يخطئون سبيلهم ، فالانسجام العقلي عند الفرد هو الذى يمهد إلى انسجام العقول الأخرى ، ومتى تعدت الفلسفة العلمية أو الوضعية إلى جميع العقول أمكن تحقيق الانسجام الخلقي واصبح من الممكن تحقيق تنظيم المجتمع .

نشأة علم الاجتماع بهدف دراسة المشكلات الاجتماعية:

لقد جاءت كافة الدراسات والبحوث التي تناولت المشكلات الاجتماعية في علم الاجتماع تعبيرًا **عن الواقع الاجتماعي ، وحيث إن هذا الواقع يختلف باختلاف الزمان والمكان لذا** تباينت هذه الدراسات ، فمشكلات المجتمع المصري تختلف عن مشكلات مجتمعات عربية أخرى، كما أن المشكلات السابقة تختلف عن المشكلات الاجتماعية سواء في أمريكا أو

أوربا أو روسيا ، فالباحث يؤثر ويتأثر بطبيعة المحتوى الاجتماعي الاقتصادي وبملامح الكيان الثقافي الذي يعيشه ، ففي العصور الوسطى كانت كافة الدراسات تدور في فلك المؤسسات الدينية وميول الكنيسة ، وإذا ما حاول باحث أن يخرج عن هذه الفلسفة فإن مصير أبحاثه الفناء والهلاك .

كما أن تاريخ علم الاجتماع يشير إلى أن أعمال الرواد الأوائل في أوربا كانت تدور حول أهم المشكلات التي واجهت المجتمع الأوروبي في ظل التحولات الرأسمالية الصناعية في القرن التاسع عشر محاولين وضع مقترحاتهم للحد من مشكلات التفكك والصراع والتناقض هادفين إلى محاولة تحقيق التكامل والتوازن ، فعلى سبيل المثال نجد أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) قد تأثر في شبابه بآثار الثورة الفرنسية ، ولاحظ أن الفوضى تدب جميع أنحاء المجتمع الفرنسي ، وقد كانت رغبته في إصلاح هذا المجتمع سببا في دعوته إلى إنشاء علم الاجتماع ، وحينما بدأ يفكر في الأسباب التي أدت إلى وجود هذه الفوضى ، وجدها تنحصر في الفوضى الفكرية حيث أن الباحثين يسلكون منهجين في تفسيرهم لكل من الظواهر الاجتماعية والطبيعية ، فهم يستخدمون المنهج العلمي في تفسيرهم للظواهر الطبيعية ، في حين أنهم لا يستخدمون المنهج نفسه في تفسيرهم للظواهر الاجتماعية ... ووجد كونت أنه لا فائدة من علاج الفكر الفاسد والقضاء على الفوضى الفكرية إلا إذا خضعت الظواهر

الاجتماعية للمنهج العلمي المتبع في الظواهر الطبيعية ، ولذا قال كونت " أنني سأنشئ علم الاجتماع لكي يقوم بهذا الغرض " وقال أيضا أنه لكي يمكن للناس فهم ظواهر الاجتماع على أساس المنهج العلمي الوضعي يجب توافر شرطين :

الأول: أنه يجب أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها، ولا تخضع للأهواء والمصادفات، ففهم الظواهر الاجتماعية بطريقة علمية هو معرفة القوانين التي تسير عليها.

الثاني: أنه يجب على الأفراد التعرف على هذه القوانين حتى يتحقق لهم فهم الظواهر كما تحددها قوانينها من أوضاع.

يرى كونت أن الشرط الأول متوافر حيث إن الظواهر الاجتماعية جزء من الطبيعية الكلية، وجميع نواحي الطبيعة الكلية خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها.

أما الشرط الثاني وهو معرفة الناس بهذه القوانين، فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عن هذه القوانين إلا إذا قام علم جديد وظيفته دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وضعية، وبقيام هذا العلم الجديد يتم القضاء على الفوضى الفكرية ويتحقق الإصلاح المنشود.

فنشأة علم الاجتماع الغربي تأثرت بشكل واضح بمجموعة المشكلات الاجتماعية التي صاحبت مرحلة الثورات الثلاث (ثقافية ألمانية – سياسية فرنسية – صناعية إنجليزية).

المراحل الثلاث للتطور العقلي والاجتماعي :

يرى كونت " أن طبيعتنا الإنسانية تنطوي على ثلاثة جوانب رئيسية ، يجب تنظيم العلاقة بينها في حياتنا الخاصة بصورة مرضية ، وتشمل هذه الجوانب مشاعرنا our feelings وتتضمن الدوافع والعواطف التي تكمن خلف النشاط الذي نمارسه ، وأفكارنا our thought وهي تخدم المشاعر ولكنها تعيننا على التحكم فيها ، وأخيراً أفعالنا our Action تلك التي تتم في ضوء المشاعر والأفكار معا .

ومثل هذه الجوانب توجد أيضا بالنسبة لحياتنا الاجتماعية وسلوكنا الاجتماعي مع الآخرين ، فاستمرار المجتمع ووجوده ينبغي أن ينهض على أساس تنظيم محدد للنظم والمؤسسات والمعرفة والقيم والمعتقدات ، وهي جميعا مرتبطة بالمشاعر والأفكار والأنشطة التي يمارسها الأفراد وأعضاء المجتمع ذلك أن المجتمع في نهاية الأمر هو نسق من أنماط السلوك المنظمة والمشتركة بين الأفراد .

ويرى كونت أن هناك ثلاثة مراحل للتطور العقلي والاجتماعي :

المرحلة الأولى : المرحلة اللاهوتية أو الخرافية .

المرحلة الثانية : المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة .

المرحلة الثالث : المرحلة الوضعية أو العلمية .

ففي المرحلة اللاهوتية أو الخرافية يقوم الإنسان بتفسير الظواهر والأشياء من خلال السباب الخارقة للعادة والقائمة على التعسف فالظواهر تحدث تأثير إرادة الآلة .

فكلمة اللاهوتي تعني عند كونت خرافي أو خيالي أو أسطوري أما المرحلة الميتافيزيقية كلمة ميتافيزيقية فهي تعني نوعًا خاصًا من تفسير الظواهر التي توقفنا عليها التجارب مثال ذلك فرض أن الأثير هو الذي يفسر الظواهر الضوئية والكهربائية وكذلك فرض الروح في علم النفس ... الخ . فكونت يرى أن هذه مبادئ ميتافيزيقية أو مجردة .

أما المرحلة العلمية أو الوضعية وفيها يتجه الإنسان إلى التخلي تماما عن الافتراضات اللاهوتية والميتافيزيقية في مقابل تمسك الإنسان تحت تأثير تراكم المعارف والفنون والعلوم والثورة الصناعية بتفسير الظواهر على أساس الملاحظة والتجربة للتوصل على القوانين التي تفسر الارتباط القائم بين الظواهر .

وتمثل المراحل الثلاث السابقة قانونا عاما ينطبق على الإنسانية بأكملها .

فالمرحلة الأولى يمكن اعتبارها نقطة بدء ضرورية للذكاء الإنساني .

والمرحلة الثالثة فهي حالة الإنسان النهائية الثابتة .

والمرحلة الثانية فقد قدر لها أن تستخدم فقط لمرحلة انتقال .

ويمكن اعتبار المرحلة الأولى بمثابة مرحلة الطفولة .

أما الميتافيزيقية يمكن اعتبارها بمثابة مرحلة الشباب والمراهقة .

والمرحلة العلمية أو الوضعية يمكن اعتبارها مرحلة الرجولة أو الاكتمال.

والمرحلة اللاهوتية تقابل نماذج المجمعات العسكرية
والمرحلة الميتافيزيقية تقابل نماذج المجمعات التشريعية .
والمرحلة العلمية الوضعية تقابل نماذج المجمعات الصناعية .

٤- العلم الوضعي والفلسفة الوضعية :

يرفض الإنسان في سعيه نحو المعرفة العلمية والتساؤلات اللاهوتية والميتافيزيقية لأنها تساؤلات يتعذر الإجابة عليها ، ويجد الإنسان أنه لا بديل عن العلم الوصفي حيث البحث عن القوانين التي تحكم وقوع الظواهر ، تلك القوانين ما هي إلا عبارات أو قضايا تتعلق بالارتباط بين الوقائع سواء كانت قوانين تتعلق بالارتباط والتساند بين الظواهر كما هو واضح في العلوم الطبيعية والإنسانية Co-existence التسابق في الوجود ، أو القوانين الخاصة بالتتابع التي تتعلق بالتغيرات التاريخية الملموسة .

وعلى أبه حال فإن هذه القوانين لا تصل إطلاقا على حد الكمال أو الشمول أو اليقين الشامل كما يقول كونت وذلك في العلم الوصفي ، وكما نقول نحن فغن الكمال لله وحده ، حيث يرى كونت أن هناك حدوداً يجب الاعتراف بها وتفسر هذه الحدود في ضوء حقيقتين :

الأولى : أننا كبشر فإن خبرتنا بالعالم تكون من خلال الحواس ومن خلال موضعنا الخاص في الطبيعة والمجتمع ، فمعرفتنا محكومة بما تمدنا به الحواس .

الثانية : انه من خلال عملية التغير الاجتماعي والطابع التراكمي للمعرفة العلمية فإن اليقين المطلق أمر لا يمكن التسليم به إن لم يكن محالا ،

حيث أن كل ما نتوصل إليه من معارف خاضع للتطوير والتعديل والنمو ولاختبارات عديدة .

ويؤكد كونت على أهمية الفروض في العلم فإذا كان صحيحا أن كل نظريه يجب أن تعتمد على الوقائع الملاحظة ، فإنه من الصحيح أيضا أن الوقائع لا يمكن ملاحظتها بدون توجيه نظري حيث أن فقدان التوجيه النظري يؤدى إلى عقم وغموض وعدن إدراك للوقائع ، ولذا فالتوجيه النظري ضرورة ملحة تسبق البحث الامبريقى .

ويصل كونت إلى نتيجة مؤداها أن " من العلم يأتي التنبؤ ، ومن التنبؤ يأتي العمل " وهذا معناه أن أحد المهام الرئيسية للعلم الوضعي أو الروح الوضعية هو التنبؤ بالظواهر ، والتنبؤ لا يقتصر على المستقبل بل يتضمن أيضا الحاضر الماضي ، حيث ترتكز الروح الوضعية على أساس البحث من أجل التنبؤ وعلى دراسة ما هو قائم من أجل استخلاص ما سيكون .

تسلسل العلوم :

يرى كونت أن قانون المراحل الثلاث قانونا عاما لا ينطبق فحسب على العلوم الإنسانية وإنما ينطبق على كافة العلوم سواء كانت إنسانية أو طبيعية فكل علم كان تطوره التاريخي في ضوء هذا القانون من ناحية وفى ضوء الاعتماد والتساند المتبادل بينه وبين العلوم الأخرى من ناحية أخرى . فكل علم يرتكز على العلم السابق عليه ويمهد الطريق للعلم الذي يأتي بعده .

وكان ترتيب كونت لعملية تسلسل العلوم كما يلي :

الرياضة ، الفلك ، الكيمياء ، الفيزياء ، البيولوجيا ، علم الاجتماع وأخيراً علم الأخلاق الذي هو فرع لعلم الاجتماع يحتوي على مزيج من علم النفس وعلم الأخلاق .

ويرى كونت أن العلوم لم تظهر بطريقة تحكمية وإنما لكل علم من العلوم ظهر لكي يحقق هدفا معينا وهو تفسير طائفة من الوقائع والتوصل على القوانين التي تتحكم في هذه الوقائع . كما أن كل علم من العلوم له الحرية في اختيار وتطوير المناهج التي تلائم موضوعاته . ويرى كونت أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الإنسان والمجتمع وهى من أكثر الدراسات تعقيدًا وتشابكًا . وان علم الاجتماع هو المكمل والمتمم لسلسلة العلوم لأنه يغطى النقص الذي عانت منه المعرفة العلمية نظرًا لانعدام وجود فيزياء اجتماعيه . فعلم الاجتماع هو العلم الذي يمهد إلى تعميم التفكير العلمي والتحرر نهائيا من التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي وعلى تقرير أسس السياسة والدين وهو لهذا يعد تاجًا لجميع العلوم .

علم الاجتماع :

ذكرنا فيما سبق أن أوجست كونت هو أول من وضع مصطلح علم الاجتماع وقد اضطر على هذه التسمية لأنه كان ينوى تسمية علمه الجديد باسم الفيزياء الاجتماعية وعدل عن هذه التسمية بعد أن سبقه إليها العالم البلجيكي أدولف كتيليه .

ولقد أدرك كونت أهمية علم الاجتماع حيث كتب يقول " انه لدينا الآن فيزياء سماوية وفيزياء أرضية ميكانيكية وفيزياء نباتية ، وفيزياء

حيوانية وما زلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزياء وهي الفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعًا لدراسته باعتبار أن هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفسيولوجية من حيث كونها خاضعة للقوانين الطبيعية الثابتة " .

حيث يرى كونت أن العلوم الأخرى وحتى علم الحياة لا يمكنها البحث في قوانين المجتمع الإنساني أي تلك القوانين التي تفسر الارتباط بين الوقائع الاجتماعية ، حقيقة أن موضوع دراسة تلك العلوم تؤثر في الإنسان والمجتمع حيث أن البيولوجيا يدرس الإنسان بوصفة حيوانا إلا أنها تتجاهل النظم المركبة والتقاليد التي كونها الإنسان في حياته الاجتماعية ، فالشيء الرئيسي الذي يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات الأخرى هو تطور وقائع حياته التاريخية ، فالمجتمع الإنساني ما هو إلا عملية متراكمة من النظم والمعرفة والمهارات والتقاليد والقيم والمعتقدات ولا تستطيع البيولوجيا أو أي علم آخر أن يدرس هذه الظواهر ولذا فمن الضروري قيام علم جديد لدراسة تلك الظواهر الاجتماعية الجديدة التي يتعذر على كافة العلوم الأخرى دراستها .

فموضوع علم الاجتماع هو دراسة النظام الاجتماعي ، ومدى تنوع النظم الاجتماعية في العالم ، والمجتمع هو نسق يتألف من أجزاء متساندة ، وهو شيء يفوق الأفراد ، ومن ثم يحتاج على دراسة خاصة ، فالأفراد لا يمكن فهمهم إلا في سياق المجتمع الذي يعيشون فيه .

وحيث إن علم الاجتماع علمـــا وضعيا للظواهر الاجتماعية فإنـــه يستخدم عديدًا من المناهج كالملاحظة والتجريـــب والمـــنهج التـــاريخي والمنهج المقارن .

وينقسم علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين :

علم الاجتماع الاستاتيكي وعلم الاجتماع الديناميكي

أما عن علم الاجتماع الاستاتيكي فهو ذلك العلم الذي يهتم بدراســة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها ، كذلك يهتم بدراسة الانســجام والتوازن بين ظروف وجود الإنسان في المجتمع وهذا يقتضي دراســة النظام العام أو البناء الاجتماعي حيث التركيز على الكــل ، فــالأجزاء يمكن فهمها في ضوء العلاقة المتبادلة بينها وبين الكل .

أما علم الاجتماع الديناميكي فهــو العلــم الــذي يهــتم بدراســة المجتمعات الإنسانية في حالة حركتها الاجتماعية والمراحل التي تخطوها الإنسانية في تطورها .

وعلى الرغم من أن كونت لم يفصل بين الدراســة الاســتاتيكية والدراسة الديناميكية غلا أنه أعطــى عنايــة خاصــة بعلــم الاجتمــاع الديناميكي ، والا ستاتيكي إذا كانت دراسة تحليلية فإن الديناميكية هــي دراسة تجريبية أمبريقية .

<u>المصالح الاجتماعية :</u>

إن قمة التقاء المصالح الإنسانية من وجهة نظر كونت تكمن في عملية انتشار التصنيع . حيث أن ظاهرة التصــنيع تضــع الأســس الموضوعية للفلسفة الوضعية . ففي ظل ظــروف التصــنيع يمكــن رفض التفسيرات الميتافيزيقية للطبيعة ، وتكشف النشطة اليومية للحيــاة

في المجتمع الصناعي عن حقيقة جوهرية مؤداها " أن المجتمع بحاجة على إعادة تنظيم مستمر ، وإلى تدخل الإنسان من أجل حياة أفضل فالعالم الخارجي لا يخضع للتحكم وإنما هو خاضع لمجموعة من القوانين الطبيعية التي يجب اكتشافها .

ولقد كان كونت على ثقة من أن العمال اليدويين أكثر استجابة للفلسفة الوضعية من غيرهم حيث انهم يعملون مباشرة مع الواقع المادي الصناعي على حين أن رجال الإدارة العليا يشتغلون بعمليات صنع القرارات .

الدين والأخلاق :

قدم كونت تصوره عن دين الإنسانية الذي يكمن جوهره في الالتزام الأخلاقي في الشعور والفكر والنشاط من اجل خدمة الإنسانية ز ودين الإنسانية يرتكز في مقدماته على الفلسفة الوضعية حيث يحرر الإنسان من المذاهب العتيقة ويكون أكثر وضوحاً ويدفع الإنسان إلى تحقيق أفضل المثاليات الإنسانية وتطوير ظروفه وتحسين أحوال البيئة التي يعيش فيها .

ويقول كونت " أن الحب هو المبدأ ، والنظام هو الأساس والتقدم هو الغاية ، فالدين الوضعي هو الدين الوحيد الحقيقي والمكتمل الذي سيحل محل كل النظم المؤقتة التي استندت على اللاهوت العتيق .

وكان كونت يسعى على تأكيد الصلة بين كل من علم النفس " الشعور " وعلم الاجتماع " الحقيقة الاجتماعية ، والفلسفة الأخلاقية " جيل الأخلاق "

وكان كونت يسعى على تأكيد الصلة بين الشعور أي علم الـــنفس والحقيقة الاجتماعية أي علم الاجتمـــاع وجيـــل الأخـــلاق أي الفلســـفة الأخلاقية .

الفصل الرابع

التغير الاجتماعي

مقدمـــــــــة

يعد التغير الاجتماعي أحد المبادئ الأساسية التي ينهض عليهـــا الوجود الاجتماعي بجوانبه الطبيعية وغير الطبيعية ، فالتغير ســـمة لصيقة بحياة الإنسان وأفكاره والتجمعات البشرية التي أقامها . وعلى الرغم من أن دراسة التغير الاجتماعي من الاهتمامـــات المعاصـــرة لعلم الاجتماع ، إلا أن الفلاسفة والمفكرون على مر العصـــور قـــد لاحظوا التغير الاجتماعي والسياسي وتأملوه وطوروا نشأته وأضافوا أفكارًا ربما تكون قد شكلت الرصيد المعرفي الذي تطور من خلالـــه مفهوم التغير الاجتماعي الحديث .

ولعل من أول من لفت الانتباه إلى قوانين التغير العامة التـــي تحكم كل الأشياء هو فيلسوف اليونان القديم هراقليطس (٥٤ . – ٤٧٥ ق . م) الذي أطلق عبارته الشهيرة والتي قـــال فيهـــا أن الإنسان لا يستطيع أن يضع قدمه في نهر واحد مرتين " ثـــم جـــاء أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) ليحلق بنا في الخيال محـــاولا تفادي التغيرات الحادثة في المجتمعات والمؤدية إلى زيادة الحاجات والمطالب التي تؤدى بدورها أيضا إلى إحداث تغيرات سريعة وهكذا تعرضت المجتمعات للفساد الأمر الذي دعى أفلاطون إلـــى تكـــوين مدينته الفاضـــلة " التي لا يدركها التغير ، ثم جاء أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) الذي يرى أن المجتمعات تتغير وفق قانون ثابـــت هو قانون الانتقال من البسيط إلى المركـــب ومـــن التجـــانس إلـــى

اللاتجانس .. . الخ من الأفكار . كما عرض "ابـــن خلـــدون" للتغير في عبارات عديدة نذكر منها المباينه بالجملة والتبدل بالجملة .

كما أن تاريخ النظرية السوسيولوجية يوضح أنه منـــذ بـــدء مرحلة التنوير ظهرت الدعوة إلى التطور والنمو والتقدم ، وذلك في ضوء التيارات الفكرية المتعددة في هذه المرحلة .

ولقد تأكد نفس الاهتمام خلال المرحلة الكلاسيكية من تـــاريخ النظرية السوسيولوجية. والتي تتسم معظم النظريات التي ظهـــرت في ذلك الوقت بالطابع الثوري ، وتعد نظريات كارل ماركس فـــي هذا الصدد أكثرها انتشارا . والتي تؤكد أن وســـائل الإنتـــاج هـــي العنصر الأساسي في البناء الاقتصادي وهي التي تشكل دائما قـــوى التغير الدافعة ، وأن تاريخ المجتمعات لـــيس إلا تـــاريخ الصـــراع الطبقي . كما كانت من أهم النظريات في هذه المرحلة نظريـــات دور كايم وسبنسر وماكس فيبر . وتوصف كل هذه النظريات بأنها نظريات عاملية أي تنظر للحقيقة من زاوية واحدة . وبعضها يغفل الزوايا الأخرى تماما ، إلا أن البعد الآخر يعطيها قدرا من الاهتمام . ولقد أفادت هذه المرحلة النظرية السوســـيولوجية فـــي مراحلهـــا التالية ، حيث أن كل منها جمع قدراً كبيراً من المعطيات التي تؤكـــد على فاعلية العامل الذى تراه متغيرا مستقلا .

أما المرحلـــة الحديثـــة والمعاصـــرة فـــي تـــاريخ النظريـــة السوسيولوجية فقد تميزت هذه المرحلـــة بـــاختلاف رؤيتهـــا للتغيـــر

الاجتماعي من خلال تأكيدها على جماعية العوامل والتفاعل، ولقد طرحت هذه النظريات بعض الأفكار الدقيقة التي تدور حول الإجابة على التساؤلات الآتية: ما هو الشيء الذي يتغير؟ وكيف يتغير؟ وما هو اتجاه التغير؟ وما هو معدل التغير؟ ولماذا حدث التغير ولماذا كان ممكنا؟ وما هي العوامل الرئيسية في التغير الاجتماعي؟

فالتغير هو سمة الحياة الاجتماعية ، فكل شيء في الوجود الاجتماعي يتعرض على التغير ، والمجتمعات الإنسانية أيا كانت أشكالها تتصف بأنها في تغير دائم ، إلا أن معدل التغير قد يتخلف من مجتمع إلى آخر في اتجاهه أو معدله ، فإذا كان التغير يحدث بمعدلات سريعة ، فيوصف المجتمع بأنه " دينامي " أما إذا كان التغير يحدث بمعدلات بطيئة نسبيا فيوصف المجتمع بأنه " استاتيكي " وكلما كانت درجة التغير أكبر تكيفا ، كلما كانت درجة المستوى الثقافة للمجتمع أكثر تقدما ، كما أن للتغير آثاره الاجتماعية الواضحة ، وغير المحدودة أيا كانت معدلات هذا التغير ، فآثاره تمتد لتشمل كل نشاك الحياة الاجتماعية ، وما تنطوي عليه من علاقات ومؤسسات وروابط من الناحيتين البنائية والوظيفية الذى يحدث في أية ظاهرة أو نظام لأي مجتمع لابد وأن ينعكس ذلك على باقي الظواهر والنظم الأخرى بدرجات متفاوتة ، ذلك لأن ظواهر المجتمع ونظمة متماسكة ومترابطة ومتداخلة ومتكاملة في بنائها

التركيبي والوظيفي [١] ويرى " روبرت بارك " أن التغير الاجتماعي يؤدى على التفكك الاجتماعي ، حيث يقول " نحن نعيش فترة من التفكك الاجتماعي ، فكل شيء في حالة تهيج ، وكل شيء يبدو أنه عرضة للتغير ، وان أي شكل من أشكال التغير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه في روتين الحياة الاجتماعية يميل إلى تحطيم العادات التي تقوم عليها التنظيم القائم . وكل وسيلة جديدة تؤثر في الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي لها تأثيرها الواضح في التفكك ، وكل اكتشاف جديد ، وكل اختراع جديد وكل فكرة جديدة تعتبر شيئا مزعجا ومقلقا . ومن الواضح اذن أن أي شيء يجعل الحياة أكثر جاذبية وتشويقا يعتبر خطراً على النظام القائم [٢] .

ويود أن يشير الباحث إلى أنه لا يتفق مع رأى " روبرت بارك " الذي يقصر التغير الاجتماعي على الجانب السلبي منه متجاهلا التغيرات الاجتماعية الارتقائية التي يكون لها أثارها الإيجابية على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية . فالتغير الاجتماعي السلبي يؤدى على التفكك الاجتماعي أما التغير الاجتماعي الإيجابي فله أثاره الحميدة التي يمكن أن تقضى على مظاهر التفكك الاجتماعي .

ولماذا نذهب بعيدا فإن قيام الثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م في مصر

---

(١)احمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع ، القاهرة ، نهضة الشرق ، ١٩٨٣ ، ص ص ١٢ . – ١٢١ .

(٢) سناء الخولى : التغير الاجتماعي والتحديث ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م ، ص ص ١٧ . – ١٧١

أحدثت آثارًا إيجابية على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. . الخ .

وفي سبيل محاولتي لعرض منهج مبسط لطلاب قسم الاجتماع فأنني سأتناول هذا الموضوع في ضوء النقاط التالية:

١ – مفهوم التغير الاجتماعي .

٢ – أنواع التغير الاجتماعي .

٣ – عوائق التغير الاجتماعي .

٤ – عوامل التغير الاجتماعي .

أولا: مفهوم التغير الاجتماعي:

لقد شغلت قضية " التغير الاجتماعي " رواد علم الاجتماع الأوائل أمثال " أوجست كونت وكارل ماركس وهربرت سبنسر ودور كايم " إلا أنه يلاحظ أن مفاهيم التغير، والتطور، والنمو، والتنمية والتقدم، كانت تختلط في بعض الأحيان، أو يربط المفكر بينهم جميعًا في مفهوم واحد، وكان يحدث في حالات أخرى أن يفرق العلماء بين هذه المفاهيم [٣] .

---

(٣) للمزيد من المعرفة حول هذا الموضع يمكن الرجوع على المؤلفات الآتية :

- احمد رأفت عبد الجواد : (١٩٨٣) ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٥ – ١٢٦
- بونوبور : تمهيد في علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرين ، ط ٥ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨١ ، ص ص ٣٩٥ – ٤٠٦
- احمد الخشاب : التغير الاجتماعي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١ ، ص ص ٢ . – ٢٢

وعن مفهوم التطور الاجتماعي يمكن القول بأن هذا المفهـــوم استعير من نظريات التطور البيولوجي ، حيث نجد على سبيل المثال ، هربرت سبنسر " يعقد – في مؤلفاتـــه – مقارنـــة بـــين المجتمـــع والكائن الحي ، وكان متأثرًا في ذلك بالنظرية الدارونية في النشـــوء والارتقاء والآلية التي يحدث بها التطور فالمجتمعات في رأيه تتطور من حالة يعمل فيها الناس نفس النوع من العمـــل إلـــى حالـــة مـــن التخصص والتعاون . ولقد أشار بعض علماء الاجتماع المحدثين إلى عدم جدوى التناظر بين التطور البيولوجي والتطور الاجتمـــاعي نظرًا للاختلاف الشاسع بين النظرية البيولوجية والنظريات المختلفة للتطور الاجتماعي . والتطور بمفهومه الحـــالي " هـــو الحالـــة الطبيعية للمجتمع الإنساني ، فهو يشبه التغير في أنه ســـمة الحيـــاة الاجتماعية ، فكل مجتمع لا يخلوا من التطور كما أن التطـــور قـــد يختلف من مجتمع لآخر ، كما أن التطور قد يكون تقدما ارتقائيًـــا ، وقد يكون تقهقرًا وضعفًا . والتطور يختلف عن التغير من حيث أن التطور يتم تدريجيا وفق مراحل معينة دون تـــدخل أو تخطـــيط مقصود ، بينما التغير قد يكون مثل التطور تلقائيًا ، وقد يـــتم عـــن طريق التخطيط مما يخرج عن تلقائيته ويصبح مرسومًا ومقصودًا .

- سناء الخولى : مدخل إلى علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعيـــة ١٩٨٧ ، ص ص ٢٤٢ – ٢٥٢
- صلاح العبد : علم الاجتماع التطبيقي وتنمية المجتمع ، القاهرة ، مؤسسة دار التعـــاون للطبـــع والنشر ١٩٧٢ ، ص ٢٣٤

ونظرا لصعوبة مفهوم التطور بمعناه عند رواد علم الاجتماع الأوائل فقد فضل العلماء استخدام مفهوم النمو الاجتماعي، حيث نلاحظ أن هوب هوس " استخدم مصطلح التطور الاجتماعي. والنمو الاجتماعي كمصطلحين مترادفين في معظم كتاباته، كما نجد أن معظم مؤلفاته علم الاجتماع لم توضح الفرق بين النمو، والتنمية . فالنمو كمصطلح يستخدم للإشارة إلى التغير بمعنى الظهور بالتدريج " أو التحول إلى زيادة عن طريق الإضافة، وهذا ما نعنيه عندما نتكلم عن نمو الطفل أو نمو المدينة أو نمو المرض، فالنمو هو تغير ارتقائي تقدمي عن طريق التطور التدريجي التلقائي، أما إذا حدث تدخل للإسراع بعمليات النمو أصبح النمو تنمية .

وفي الحقيقة فإن المفاهيم الخاصة بالتطور الاجتماعي والنمو الاجتماعي التي عرضها ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة التقدم ، وفي حالة " كونت " و " سبنسر " فالأمر واضح تماما ، أما في حالة " هوبهوس " فقد افترض اختلافاً بين التطور الاجتماعي والتقدم الاجتماعي ، وبالرغم من هذا فقد كان مفهوم التقدم مسيطرًا على أعماله والتقدم بمفهومه الحالي هو تحول تدريجي نحو الأحسن ، أي أنه تغير يتجه إلى الأمام دوما . والتقدم مسالة نسبية ترتبط بالزمان والمكان ، ولهذا يصعب إخضاعها لمقياس موحد ، فقد تضع بعض المجتمعات في ظروف مقياسًا معنويًا روحيًا للتقدم ، وقد تضع في ظروف أخرى مقياسا ماديا ، وما يعتبر تقدما في مجتمع ما ، قد يكون تخلفاً في مجتمع آخر ، فالتقدم بهذا المعنى لا

وجود له إلا كحلم تقييمي أو ذاتي ، طبيعته كقيمة مميزة تعتمد على وجهة نظر الملاحظ له . وعموما فقد اهملت فكرة التقدم منذ نهاية القرن التاسع عشر ليس فقط في علم الاجتماع بل أيضًا في النظرة العالمية للتفكير في المجتمعات الغربية. وهذه ظاهرة تستحق في ذاتها دراسة سوسيولوجية خاصة. وقد ظهرت بالفعل مجهودات مستمرة هدفها أن تخلق من علم الاجتماع علما متحررًا من الأحكام القيمية ، كما حدث في خلال نفس الفترة نمو الفكر الفلسفي الخاص بالنسبية الأخلاقية مما أسفر عنه الاعتقاد بأن عالم الاجتماع يستطيع بل يجب أن يتجنب الأحكام القيمية .

كل هذه الصعوبات التي لا حصر لها في نظريات التطور والنمو والتقدم أدت إلى ظهور مصطلح التغير الاجتماعي للإشارة إلى كل صور التباين التاريخي في المجتمعات الإنسانية . ولقد ساعد على انتشار هذا المصطلح نشر كتاب التغير الاجتماعي " لأوجبرن " حيث ميز " أوجبرن " بين نوعين من الثقافة (ثقافة مادية وثقافة لا مادية) ، كما أدخل مصطلح التخلف الثقافي أو الهوة الثقافية يشير به إلى أن الأجزاء المختلفة للثقافة لا تتغير بنفس الدرجة ، حيث أن بعض الأجزاء تتغير بسرعة أكثر من الأجزاء الأخرى ، ونظرا للترابط بين الأجزاء المكونة للثقافة ، فإن التغير في الناحية منها لابد وأن يحدث نوعًا من التكيفات والملائمات في النواحي الأخرى . ويضرب " أوجبرن " مثلا لتوضيح فكرته حيث يقول " الصناعة والتعليم مرتبطان ببعضهما ، والتغير في الصناعة

يؤدي بالضرورة إلى تكيفات من خلال التغيرات في نظـــام التعلـــيم والصناعة هنا متغير مستقل ، والتعليم متغير تابع ، ويتخلـــف فـــي أغلب الأحيان التغير الحادث في المتغير التابع عن التغير في المتغير المستقل ، ومن هنا تظهر المشاكل وسوء التوافق وذلك لعدم التساوي بين أجزاء الثقافة في معدلات التغير ، وغالبا مـــا يكـــون الجـــزاء المادي من الثقافة هو أسرع أجزاء الثقافة تغيرًا ، ولابد أن يترتـــب عليه تغيرات في الجزء اللا مادي ، وإلا فان المجتمع ســـيحل بـــه مظاهر التفكك الاجتماعي المختلفة .

وعلى أية حال فهناك طرق عديدة لوصف التغير الاجتمـــاعي ، فعلماء الاقتصاد والتاريخ والسياسة والاجتماع كل مـــنهم يعـــرف التغير الاجتماعي في إطار دائرة اهتمامه ومنظوره ، بل يلاحـــظ أن تعريف التغير بين علماء الاجتماع يختلف من عالم لآخر ومن باحث لآخر وذلك طبقا لموضوع الدراسة المعنية . ومن الضـــروري أن نضع في اعتبارنا عندما نستخدم مصطلح التغير الاجتماعي التجربة الماضية للإنسان في أبعادها الثقافية والاجتماعية من خلال مجتمـــع معين لأنها هي التي تجعله قادرًا على خلق الثقافة ، ونقلها في شكل اجتماعي من جيل إلى جيل ، ويعني التغير بالنسبة لعلم الاجتمـــاع ، ظهور اختلاف يمكن ملاحظته في البناء الاجتماعي أو في العـــادات المعروفة أو في معدات وآلات لم تكن موجـــودة مـــن قبـــل وذلـــك بالمقارنة بحالات أو أوضاع سابقة .

ولقد تعددت تعريفات التغير الاجتماعي، حيث يمكن أن نلاحظ مدى التنوع في صياغة هذا المفهوم كما يلي:

" يعرف "احمد رأفت" التغير الاجتماعي بأنه " اصطلاح يدل على نوع من التغير أو التحول المستمر في الحركة، وقد يكون حركة التغير إلى الأمام أو إلى الخلف، إلى أعلى أو إلى أسفل. ارتقاء وتقدمًا، أو نكوصًا وتخلفًا، ذلك أن المجتمعات قد تشهد ارتقاءً في جانب، وتأخرًا في جانب آخر، وليس هناك تقدم أو تحسن مضطردًا أو مطلقًا، بل هناك تحول وتغير، وقد يكون هذا التغير تلقائيًا وقد يكون مخططًا، بطيئًا في سرعته أو ثوريًا جذريًا وسريعًا [٤] .

" ويرى "عبد الهادي الجوهري" أن التغير الاجتماعي هو تلك التحولات والتبدلات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي، أي التي تحدث في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة [٥] .

" ويرى "أحمد أبو زيد" أن التغير " هو تلك الاختلافات التي تحدث في أي شيء والتي يمكن ملاحظتها خلال فترة من الزمن، وأن التغير الاجتماعي يقصد به الاختلافات التي تطرأ على ظاهرة من الظواهر الاجتماعية والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها [٦] .

---

(٤) احمد رأفت عبد الجواد : (١٩٨٣) ، مرجع سابق ص ١٢٦

(٥) عبد الهادي الجوهري : مدخل لدراسة المجتمع ، القاهرة : نهضة الشرق ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٩

(٦) احمد أبو زيد : البناء الاجتماعي ، المفهومان ، ط ٤ ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥٥

" ويرى " كمال دسوقي " أن التغير الاجتماعي عمومًا هو تغير في العلاقات وأنماط السلوك والعادات والتقاليد والطرق المتبعة [٧] .

ويرى " ستيفن فيجو " أن التغير الاجتماعي هو " عملية التحولات أو التبدلات الكمية أو الكيفية، المخططة أو غير المخططة، في الظاهرة الاجتماعية، والتي يمكن أن توصف في مركب من ستة أجزاء متصلة من العناصر التحليلية ذات الاعتماد المتبادل فيما بينها، وهذه العناصر هي وحدة التغير، مستوى التغير، دوام أو استمرارية التغير ، اتجاه التغير، مقدار التغير، معدل التغير " .

فالتغير الاجتماعي هو تغير في بناء ووظائف العلاقات الاجتماعية في المجتمع ، فكل شيء في أي مجتمع يتغير فهناك تغيرات تكنولوجية وتغيرات ديموغرافية وتغيرات إيكولوجية وتغيرات في النظم السياسية والاقتصادية ... الخ . والتغير الاجتماعي هو عملية الصيرورة على وضع مختلف عن الموضوع السابق الذي كانت عليه الظاهرة خلال فترة معينة من الزمن والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها ، وإن كانت بعض التغيرات غير ملاحظة وتتقبلها الناس على أنها أمور عادية . ويؤخذ التغير الاجتماعي في العادة على أنه التعديلات التي تحدث في أنماط الحياة في مجتمع معين وفي شعب من الشعوب [٨]. ويمكن أن تتمثل هذا التعديلات

---

(٧) كمال دسوقي : الاجتماع ودراسة المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ٦٢٥

(٨) صلاح عبد المتعال : (١٩٨ .) ، مرجع سابق ، ص ٥٤

على سبيل المثال في أن اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية أحدث آثارًا على جميع جنبات الحياة فيها وأصبحت المملكة تمثل ثقلًا اقتصاديًا وسياسيًا بالغ الأهمية لا بالنسبة للمنطقة وحدها وإنما في العالم أجمع [٩] . ويمكن أن تتمثل تلك التعديلات في التغير في أعداد الشباب الذين يدخلون الجامعات ، والتغير في دور الزوجة ، والتغير في معدل السكان ، فالتغير الاجتماعي يشير إلى التغيرات في التنظيم الاجتماعي أو في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة ، ولهذا يكون التغير الاجتماعي جزءًا من تغير أوسع وأشمل هو التغير الثقافي ، لأن الأول يتضمن تغيرًا في بناء المجتمع ووظائفه ، أما الثاني فيشمل كل أنواع التغير نظم المجتمع (بناء ووظيفة) كذلك التغيرات التي تحدث في العلم ، الفلسفة ، الفنون ، التكنولوجيا ... الخ . فموضوع التغير الثقافي أوسع من موضوع التغير الاجتماعي ، ولكن اهتمامنا في علم الاجتماع يتركز حول الموضوع الضيق ، فلن يتطرق اهتمامنا إلى موضوعات معينة كتطور الأصوات في اللغة ، أو تاريخ الصور الفنية ، أو تطور الأساليب الموسيقية ونمو النظرية الرياضية . وطبيعي أننا يجب أن نفهم دائما في نفس الوقت أن بعض التغيرات التي تحدث في بعض فروع الثقافة لا تستطيع أن تلاحظ تأثيرها في النسق الاجتماعي، ولهذا نهتم من الناحية السوسيولوجية بالتغير

---

(٩) أحمد رأفت عبد الجواد : (١٩٨٣) ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

الثقافي على المدى الذي ندرك فيه تأثيره على التنظيم الاجتماعي أي أننا لا نهتم به منفصلا عن التغير الاجتماعي [١٠].

أنواع التغير الاجتماعي

١- تغير طبيعي تلقائي :

وهو ذلك التغير الذي يسير سيرًا طبيعيًا تلقائيًا دون تدخل لأي قوى خارجية تؤثر في سرعته، ومن أمثلته ذلك التغير الذي يطرأ على الوحدة الاجتماعية من الأسرة إلى العشيرة إلى القبيلة إلى القرية إلى المدينة فالدولة.

٢- التغير التقدمي الارتقائي المقصود:

وهو ذلك التغير الذي يحدث في ميدان العلوم والمعارف والتكنولوجيا حيث التقدم إلى الإمام فكل اختراع يبدأ بسيطًا ثم يتحسن بالتدريج .

٣- التغير الرجعي الانتكاسي:

وهو ذلك التغير الذي يحدث في اتجاه نكوصي حيث تسوء الحالة وتتدهور ومن أمثلته التغيرات التي تحدث على إثر الحروب أو الأزمات السياسية أو الهزات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية حيث ينتج عن مثل هذه التغيرات انخفاض الدخل القومي وزيادة

---

(١٠) للمزيد من المعرفة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى المؤلفات الآتية :

- أحمد رأفت عبد الجواد : (١٩٨٣) ، مرجع سابق ، ص ٢١
- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ ، ص ٣٢٥
- محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعي والتخطيط ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ م ، ص ص ٢٥ – ٢٦ .

معدلات الوفيات وكثرة الهجرة من المجتمع وتأخر الإبداع الفني والتكنولوجي.

٤- التغير الجذري الشامل:

وهو ذلك التغير الذي يتم على إثر ثورة شاملة تطيح بمعظم النظم القائمة وترسي بدلاً منها نظم مستحدثة تمثل أما تقدمًا وتحسناً في الأوضاع الاجتماعية (كثورة ١٩٥٢ في مصر) وأما تدهورًا وانتكاسًا كاعتداء دولة العراق على الكويت ، وما ترتب عليه من احتلال أمريكا للعراق .

٥- التغير الجزئي المحدود:

وهو ذلك التغير الذي يتناول مجالات معينة تتصل ببعض النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . فقد يحدث تغير في ظاهرة التكافل الاجتماعي ، فقد تسود وتزداد وتقل تبعًا لذلك أسباب الحد الاجتماعي ، فيسود المجتمع عواطف الخير والحب والمشاركة الوحدانية، وقد تقل ولا يعبأ الأغنياء بالفقراء فيزداد الحسد وقد يُحَول إلى توتر وينذر باندلاع ثورة داخلية طبقية وهكذا .

٦- التغير الخطي :

أي التغير الذي تسير فيه المجتمعات في اتجاه واحد دون عودة للمراحل التي اجتازتها ، حيث يرى "كونت" أن المجتمع يمر في ضوء ثلاث مراحل ؛ لاهوتي – ميتافيزيقي – وضعي أو علمي

ويرى "سبنسر" أن المجتمع يتطور من الشكل البسيط إلـــى الشـــكل المتباين.

٧- التغير الدائري:

أي أن المجتمعات تسير في تغيرها في اتجاه دائـــري . وقـــد تدور العجلة مرة واحدة وقد تتعدد الدورات، فالحيـــاة تســـير دورة وراء أخرى بلا بداية أو نهاية مثل الدورات المتكررة .

حيث يرى كل من "ابن خلدون وشبنجلر" على حده أن المجتمع يمر بنفس مراحل نمو الكائن الحي ؛ الطفولة – النضج – الشباب – الشيخوخة والهرم والفناء ، ثم يعود إلى نفس المراحل السابقة مـــن الطفولة إلـــى الفناء .

ويرى "سوركون" أن تغير المجتمعات وتحولها ونموها يتم فـــي ضوء الأنماط أو العقليات الثقافية: المرحلة الأولـــى هـــي العقليـــة الحسية، المرحلة الثانية هي العقلية الروحية، المرحلة الثالثـــة هـــي العقليـــة المثالية.

٨- التغير التذبذبي:

هو ذلك التغير الذي يحل بالمجتمعات والذي يتسم بالتذبذب غير المنتظم حيث يتقدم المجتمع ، ثم ينتكس ، ثم يتقدم ، ثم ينتكس وهكذا ولكن بدون انتظام ويبدو هذا التغير واضحًا في الظواهر الاقتصادية والهيكل السكاني فالرخاء الاقتصادي قد يعقبه كساد اقتصـــادي .

والسكان قد يزدادون بسرعة شديدة ثم يتناقضون بسرعة أشد تحت تأثير المجاعات أو الأوبئة أو الهجرة أو الحروب .. . الخ .

عوائق التغير الاجتماعي

ومن أهم العوائق التي تعارض التغير الاجتماعي ما يلي: -

١- العزلة التي يعيشها المجتمع:

ويقصد بالعزلة البعد عن مصادر الثقافة وتتخذ العزلة عددًا من المظاهر منها :

أ- العزلة الطبيعية أي تلك العزلة الناتجة عن الظروف البيئية أو التضاريس أو الموقع الجغرافي .

ب- العزلة الذاتية أي تلك العزلة التي يفرضها المجتمع على نفسه كما هو الحال في بعض القبائل والعائلات بمحافظات جنوب الصعيد.

جـ- العزلة المفروضة أي تلك العزلة التي تُفرض على دولة ما من قبل دولة استعمارية أخرى أو من قبل المجتمع الدولي .

٢- عدم التجانس في تركيب المجتمع :

قد يحتوي المجتمع في بعض الأحيان جماعات متباينة عنصريًا ودينيًا ومهنيًا .. . الخ . وينعكس هذا التباين على مدى التغير؛ فهناك من يؤيد التغير ، وهناك من يعارضه ، وقد تكون الجماعات المعارضة ذات نفوذ أكبر، الأمر الذي يؤدي إلى حرمان المجتمع من التغيرات الاجتماعية الإيجابية .

٣- ركود حركة الاختراع :

إن ظاهرة ركود حركة الاختراع توجد في المجتمعات تحت تأثير ما يلي:

* شعور أفراد المجتمع بعدم حاجتهم إلى التغير نتيجة لتخلف المجتمع في مستواه الثقافي والاجتماعي .
* عدم توفر المواد الخام اللازمة للاختراع .
* عدم توفر الإمكانيات المادية والنفقات اللازمة للبحث العلمي .
* عدم تشجيع المخترعين على نشر اختراعاتهم وعدم مكافآتهم على مثل هذه الاختراعات .

٤- الخوف من التغير الجديد والرغبة في التمسك بالقديم :

كثيرًا ما تتعرض أي محاولة لتحسين وإصلاح المجتمع سواء؛ باختراع جديد ، أو بناء مدرسة ، أو وحدة صحية ، أو محاولة تعديل الأفكار الخاطئة عن بعض الظواهر الاجتماعية السلبية ، كالأخذ بالثأر ، أو زيارة الأضرحة ، أو حتى زيادة القديس ، أو حتى السعي نحو تعليم الفتاة – تتعرض مثل هذه المحاولات للمقاومة خاصة من كبار السن والمنتفعين في بقاء الحال كما هو عليه .

ثالثاً: عوامل التغير الاجتماعي:

أكدت الدراسات العلمية أن الكشف عن عامل محدد أو سبب معين للتغير الاجتماعي ضرب من المحال والتعنت ذلك لأن التغير الاجتماعي عملية معقدة تتضمن تداخلًا متبادلًا بين عوامل مختلفة

ذات صلة به . فالتغير الذي يحدث في ظاهرة معينة لابد وأن يؤثر فيما عداها من الظواهر نظرًا لترابط نظم المجتمع وتداخلها ، فهي متكاملة بنائيًا ووظيفيًا ويؤثر كل منها في الآخر ، فالعوامل التي تؤدي أو قد تؤدي إلى حدوث التغير في الحياة الاجتماعية كثيرة ومتعددة كأثر البيئة الجغرافية والأفكار والأيديولوجيات السياسية أو الاقتصادية أو الدينية على الجوانب العديدة للحياة الاجتماعية ، ومنها العادات والقيم والتقاليد والمعايير . وبالرغم من تعقد عملية التعرف على عوامل التغير الاجتماعي التي تؤثر على مجرى الحياة الريفية فإن الأمر يتطلب الإشارة إلى أهم هذه العوامل ومنها ما يلي :

أولاُ : البيئة الجغرافية :

يهتم علماء الجغرافيا بدراسة العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته الجغرافية ،وما تنطوي عليه هذه البيئة من تأثير تمارسه على المجتمع الإنساني ، وما يقوم به الإنسان من توافق معها وضبط لها . ويطلق علماء الجغرافيا على الجغرافيا البشرية الإيكولوجية البشرية .

وكلمة إيكولوجي مشتقة من الأصل الإغريقي Eco's ومعناها بيت أو مسكن أما كلمة Logy فتعني علم، والمعنى العام لكلمة العلم الذي يدرس النشاط البشري للأفراد في مكان معين لمعرفة مدى التفاعل بين الإنسان والمكان . ولقد ظهر المصطلح لأول مرة على يد "أرنست هايكل" عالم الأحياء الألماني في عام ١٨٦٩ .

ومن أهم مظاهر البيئة الجغرافية التي يمكن أن يكون لها أثـــر على مجرى التغير الاجتمـــاعي : الموقـــع، المنـــاخ، التضـــاريس، الأمطار، الفيضانات، الأعاصير، الزلازل، البراكين، المناجم، حقول البترول.

فالموقع الجغرافي قد يكون عاملًا من عوامل تغيـــر الأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مجتمـــع مـــن المجتمعـــات، فمصر بسبب موقعها الجغرافي تعرضت على مدار التاريخ لغزوات عسكرية.

وهناك تغيرات طبيعية تتم بفعل الإنسان وإرادتـــه منهـــا مـــثلاً محاولة الإنسان المصري في اختراق الصحراء لإقامـــة مجتمعـــات جديدة بعد أن ضاق الوادي بسكانه كما في مشروع توشكى وقيامـــه بشق قناة تصل بين بحرين لتسهيل عملية المواصلات بـــين غـــرب العالم وشرقه . وقيامه أيضًا ببناء السد العالي للتحكم فـــي ميـــاه الأنهار والفيضانات واستغلالها في أغراض الري وتوليد الكهرباء ، كل ذلك يؤدي إلى تغير في طبيعة الحياة الاجتماعيـــة والاقتصـــادية السائدة . كما أن اكتشاف أي مورد من موارد الثروة الطبيعيـــة المدفونة في باطن الأرض كالبترول أو الذهب أو النحاس أو الفحـــم يؤدى بالضرورة إلى تغير في أنواع النشاط الاقتصادي وهناك عدد كبير من العلماء والباحثين الذين تناولوا أثر البيئة الجغرافيـــة علـــى الحياة الاجتماعية والثقافية نذكر منهم ما يلي :

ابن خلدون وضح مدى أثر البيئة الجغرافية في اختلاف المقومات الأساسية للمجتمع الإنساني، الحيوان، الأرض، وأن تغير البيئة الجغرافية يؤدي إلى تغير في العادات والتقاليد .

ويرى عالم الجغرافيا الأمريكي هنتنغتون أن الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم ، وأن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية ، وفي ضوء هذه الرؤية أو الفرضية فسر هنتنغتون ظهور الحضارات وسقوطها ، فقد ازدهرت حضارة وادي النيل نظراً لتوافر ظروف جغرافية خاصة بملائمة الطقس والتربة ونوعية المحاصيل ، وانقرضت هذه الحضارات بفعل تغيرات جغرافية تمثلت في ارتفاع درجة الحرارة وادي النيل وما ترتب عليها من جفاف للتربة ، الأمر الذي أدى إلى خلق ظروف أدت إلى تدهور الحضارة . وفي الوقت الذي كانت فيه الظروف الجغرافية تؤدي إلى تدهور حضارة وادي النيل كانت هناك ظروف جغرافية تهيئ لنشأة حضارة في مكان آخر

ويرى مونتسكيو في كتابة " روح القوانين " أن للبيئة الجغرافية أثراً واضحا على اختلاف الأمم في قوانينها وأخلاقها وسياستها واقتصادها وعلومها، كما يرى أن السلوك الإجرامي يميل إلى الانتشار بالقرب من خط الاستواء ، وأن حالات السكر تنتشر بالقرب من المناطق القطبية.

ويرى العالم البلجيكي " أدولف كتيليه " أن للعوامل المناخية أثراً على توزيعات السلوك الإجرامي فجرائم الملكية أكثر انتشارًا في المناطق الباردة والجرائم ضد الأشخاص أكثر انتشارًا في المناطق الحارة وأعتبر "كتيليه" أن ذلك قانونا عامًا وشاملًا حيث وصفه بالقانون الحراري للجريمة .

ويرى البعض أن البيئة الجغرافية لها دور في تحديد شكل ونوع نشاط الإنسان كالصيد والرعي والزراعة والصناعة، بل إن البعض يرى أن حالة المناخ السائدة تؤثر في سلوك الإنسان حيث يتصف سكان المناطق الاستوائية بالكسل والخمول والتفكير البطيء وانتشار الأمراض الوبائية كالطاعون والحمى الصفراء وهذا يؤدي إلى ضعف الأفراد وبصورة عامة فإن ذلك يؤدي بالتالي إلى انخفاض إنتاجيه الفرد، وهنا تظهر حلقة الفقر الخبيثة، وبالتالي تخلف الدول الواقعة في المنطقة الاستوائية .

وهناك بعض النظريات التي ترجع التغير الاجتماعي إلى الاختلالات الكونية المختلفة . مثال ذلك " النظرية التي تقول بأن ازدياد نشاط البقع الشمسية – وهي بقع داكنة تبدو بين فترة وأخرى على سطح الشمس – في بعض الفترات يؤدي إلى ازدياد نشاط البشر ، ويدفعهم إلى الاكتشاف والابتكار . وهناك الفكرة القديمة القائلة بأن حركات النجوم والشمس تؤثر في مصير البشر. ومع ذلك فإننا كباحثين في علم الاجتماع نرفض فكرة أن البقع الشمسية

تؤثر على بعض الظواهر الاجتماعية كالحرب فإذا كان هناك تأثير لتلك البقع فإن ذلك قد يكون قاصرًا على الإرسال اللاسلكي مثلًا .

وإذا ما تأملنا قضية صراعنا مع العدو الإسرائيلي فإنه يمكن ملاحظة شعار إسرائيل وهو الحدود الآمنة مع الجيران العرب " يمكن هنا أن نلاحظ مدى تأثير البيئة الجغرافية على النواحي السياسية.

وإذا كنا لا ننكر أثر البيئة الجغرافية في نشأة الحياة الاجتماعية وتغيرها ، إلا أننا لا يمكن في نفس الوقت أن نرجع كل عمليات التغير الاجتماعي إليها. حقًا أن الموقع الجغرافي واكتشاف آثار جديدة قد يجعل من المجتمع مجالاً للسياحة ، وأن اكتشاف ثروة طبيعية في باطن الأرض قد يزيد من متوسط دخل الفرد ويدفع المجتمع إلى التنمية ، إلا أننا من غير المعقول أن نؤمن بأن المناخ والبقع الشمسية يحددان سلوك الفرد ، ويؤثران على تشكيل المجتمع – فالبيئة الجغرافية لا يمكن أن تؤدي وحدها إلى التغير الاجتماعي وذلك للأسباب الآتية :

(١) أن العوامل الجغرافية تتجاهل إمكانية الفرد في تسخير البيئة والسيطرة عليها. فالعوامل الجغرافية وحدها لا يمكن أن تؤدي إلى التغير الاجتماعي ما لم يحاول أفراد المجتمع أنفسهم كيفية استغلال هذه العوامل وإخضاعها لمصلحتهم ، وهذا لن يحدث إلا إذا كان لدى الأفراد القدرة على المعرفة والعلم ، فاكتشاف حقل من البترول لا يعد مؤشرًا على تغير المجتمع إلا من الناحية البنائية ، ففي حالة

عدم وجود فنيين مدربين وعمال متعلمين لا قيمة لهذا التغير ، أما في حالة تواجد ذلك فهنا يتكامل عنصري التغير البنائي والتغير الوظيفي ، أي ما يخلقه وجود بترول من ظهور وظائف جديدة لم يألفها المجتمع من قبل مثل انتشار المصانع وزيادة العمالة وارتفاع مستوى المعيشة .

(٢) أن الحياة الاجتماعية تتطور بسرعة، بينما يتطور الوسط الجغرافي ببطء شديد، فإذا كانت العوامل الجغرافية هي السبب في التغير الاجتماعي لتلازم الاثنان في تغيرهما معًا ، ويمكن أن تطلق على ذلك فجوة التغير بين الحياة الاجتماعية والوسط الجغرافي .

(٣) أن البيئة الجغرافية التي تعيش فيها بعض الشعوب قد تكون متماثلة إلا أنها تختلف اختلافًا كبيرًا في ثقافتها ومختلف أساليب حياتها.

(٤) أن البيئة الجغرافية قد تنتج ثقافتين مختلفتين في فترتين متتاليتين دون أن تتغير البيئة الجغرافية في تلك المنطقة .

ثانياً : العوامل البيولوجية :

ويقصد بالعوامل البيولوجية توزيع السكان بحسب النوع والسلالة والذكاء أو بمعنى شامل التفاوت الوراثي ، فعلى الرغم من أن التوزيع الطبيعي العادل لسكان أي مجتمع بحسب النوع يكون عادة في شكل متكافئ بمعنى أن يكون نصف المجتمع من الذكور والنصف الآخر من الإناث إلا أن هناك مجتمعات يتفاوت فيها هذا التوزيع حيث يزيد معدل الذكور عن الإناث أو العكس في حدود

ضيقة تمامًا ، إلا أن علماء البيولوجيا يعطون لهذا التفاوت تأثيرًا كبير في التغير الاجتماعي بالمجتمع بوجه عام ، وفي الطابع الاقتصادي والسياسي بل ولون العلاقات الإنسانية في مثل هذه المجتمعات على وجه خاص .

ويركز أصحاب هذه النظرية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس وجماعات متمايزة بيولوجيا وأن هناك طبقات تتفوق على طبقات أخرى، وأن هذا التفوق يرتبط بالخصائص البيولوجية فهناك من وُلد ليكون حاكمًا وهناك من وُلد ليكون محكومًا ، ومن هنا نشأت فترة تدرج الأجناس التي تلقفتها النازية ، وحاولت أن تقيم نظرية " الجنس السيد " الذي يتصف بمواهب وراثية عالية تستطيع أن تغير وجه التاريخ . وعلى أية حال فإن هذه الأفكار ليست لها سند علمي ، وإنما هي أفكار استعمارية لخدمة مصالح مجتمعهم، والسيطرة على الجناس التي يعتبرونها أجناسًا ملونة ؛ فلون البشرة أو ضيق العينين أو بروز الفكين لا يمكن اعتبارها مسئولة عن التغير الاجتماعي .

ثالثًا: العوامل الديموغرافية:

ويقصد بها تلك العوامل المتعلقة بالسكان من حيث الحجم وما يطرأ عليه من تغير وأسلوب حدوث هذا التغير سواء عن طريق زيادة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة، كذلك من حيث تقسيم

السكان على جماعات فرعية عن طريق الجنس والعمل والمركز الزواجي وكذلك من حيث الحركات السكانية بعيدة المدى .

ويؤدي التغير في التركيب السكاني للمجتمع ، في بعض الأحيان إلى بعض التغيرات الاجتماعية والثقافية وذلك في حالة زيادة أو نقصان عدد الأفراد المكونين لجماعة من الجماعات نتيجة زيادة المواليد أو نقصها أو نتيجة للهجرات الداخلية والخارجية فإنه من المتوقع أن تتغير تبعًا لذلك نسب الشيوخ والشباب وهذا من شانه أن يغير من حالة الجماعة المادية والفعلية والاجتماعية [١١] . كما يترتب على هجرة السكان من الريف إلى الحضر حدوث ما يطلق عليه بالصدمة الثقافية تلك الصدمة التي تجعل المهاجر قلقاً حائرًا مبلبل الفكر مما يؤثر في عمله وإنتاجه بقدر كبير. وكذلك ما تؤدي إليه هذه الهجرة من عمليات التغير أو الثبات في القيم والعادات والتقاليد ، وقد ينتج عن ذلك تفكك في العلاقات الاجتماعية ، وظهور بعض المشكلات المتعلقة بالإسكان والصحة والجريمة وغيرها وذلك في المناطق الحضرية .

ولقد تناول بعض العلماء العامل الديموغرافي ودوره في عملية التغير الاجتماعي الاقتصادي. حيث يرى " وليم بيتي ١٦٢٣ – ١٦٨٧ " الاقتصادي الإنجليزي أن يعمل والعمال هم أساس كل الثروات ، وبالتالي فإن نمو وحجم هؤلاء العاملين أو العمال هو

---

(١١) عادل مختار الهوارى : قضايا التغير والتنمية الاجتماعية ، ص ١٦

الذي يحدد نمو وحجم الثروات ، وهكذا ، فإن الأمة الأكثر سكانا هي الأمة الأكثر غنى. وتعد هذه النظرية بمثابة نوعًا من الحتمية الجغرافية إلا أنه بالقياس على مرحلته التاريخية تعد وجهة نظر تقدمية لأنها ركزت على دور وأهمية العملية الاقتصادية للجماهير الشعبية المنتجة ضد مضطهديها من الإقطاعيين الذين يأكلون دون أن يعملوا ، وهناك عدد من المفكرين تلقف هذه الفكرة ليعطي للعامل الديموغرافي دورًا مسيطرًا باتجاه الأمام أو الخلف. فلقد قام عالم الاقتصاد الإنجليزي "توماس روبرت مالتس" ٧٦٦ – ١٨٣٤ الذي يعتبر بحق أول من وضح للرأي العام خطورة المشكلة السكانية التي تُعد في وقتنا الحاضر من أهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه جميع الدول النامية في قارتي آسيا وأفريقيا إلى تخطيط شامل للعلاج من خلال برامج استصلاح الأراضي وتحسين ري المحاصيل والميكنة الزراعية [١٢] .

فلقد تصور مالتس أن نمو السكان إنما يتم على شكل متواليات هندسية (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ١٢٨) إلا أن الزيادة في مواد الغذاء تتم في شكل متواليات عددية أو حسابية(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) فمثلا إذا افترضنا جدلا أن عدد سكان شعب معين يقدر بمليون نسمة فإنه بعد خمسة وعشرون سنة يصل عدد السكان إلى ٢ مليون نسمة أي أن عدد السكان من وجهة نظر

---

(١٢) صلاح العبد : علم الاجتماع السكاني ، ص ١٩٤

"مالتس" يتضاعف كل ٢٥ سنة . وطبقا لذلك فإنه بعد ٢٥ سنة أخرى يصل عدد السكان إلى ٤ مليون وبعد ٢٥ سنة ثالثه يصل عدد السكان إلى ٨ مليون نسمه وهكذا. أما بالنسبة لإنتاج المواد الغذائية فإن الزيادة تتم على أساس عددي أو حسابي فمثلا إذا بدأنا بإنتاج حجمه ١ فإنه بعد ٢٥ سنة أيضا يصبح الحجم بعد الزيادة ٢ وبعد ٢٥ سنه ثالثة بعد الزيادة ٣ وهكذا .

ومعنى ذلك أنه بعد ٧ أجيال ستكون نسبة الغذاء على عدد السكان هي (٨: ١٢٨) وهي نسبة رهيبة تنطوي على شقاء السكان حيث الجوع والمرض والجريمة والحرب وغيرها، وإن كان "مالتس" يرى أن مثل هذه الأمور تؤدي دورًا إيجابيًا في الحد من الزيادة السكانية، كما طالب "مالتس" بضرورة أن يلتزم السكان بالعفة والمبادئ الفاضلة وعدم تشجيع الزواج المبكر. وعارض "مالتس" بشدة تقديم الإحسان للفقراء كحل للمشكلة ، فأي مساعدة تقدم للفقراء سوف تزيد من عددهم وتقتل إحساسهم بالمسئولية ، وتجعلهم يعتمدون على المجتمع في تربية أولادهم .

وعلى أية حال يمكن القول أن وجهة نظر "مالتس" تعد تشاؤمية فضلاً عما تحمله من مغالطات فالإنسان كان يسعى دائما لتطوير بيئته التكنولوجية والتنظيمية ، وذلك لكي يتمكن من إنتاج غذاؤه بصورة لا تقل عن الزيادة في نمو السكان . كما أن جهود التنمية الاجتماعية في المجتمعات أدت إلى انخفاض معدلات المواليد

والخصوبة تحت تأثير ارتفاع مكانة المرأة في المجتمع والتوسع في تعليمها وإتاحة الفرصة أمامها للعمل ومشاركتها للرجل في القضـــايا العامة ، بالإضافة إلى التوسع في استخدام موانع الحمل. كل هــذه الأمور تؤكد عدم صحة توقعات "مالتس" بالزيادة الرهيبة في السكان (١٣) .

وعلى الرغم من أن هذه النظرة تشاؤمية، إلا أنها تكاد تنطبق على ظروف الدولة النامية في شقيها، وهي لا تنطبق تمامــا علــى الدول المتقدمة في شقيها أيضا .

الشق الأول الخاص بالتنامي السكاني تؤكــد البيانــات عــام ١٩٨٦ أن سكان العالم يتضاعف كل ٤١ عامًا ، وأن سكان الــدول النامية يتضاعف كل ٣٤ عامًا في حين أن سكان الــدول المتقدمــة يتضاعف كل ١١١ عامًا ، فمثلا سكان كينيا يتضــاعفون كــل ١٨ عامًا وسكان الكويت يتضاعفون كل ٢ . عاما وسكان البحــرين والجزائر والعراق وفلسطين وليبريا ونيكارجوا يتضاعفون كــل ٢١ عامًا وسكان تنزانيا وزامبيا والسودان وغانا ومــالاوي والمكســيك ونيجريا يتضاعفون كل ٢٢ عامًا ، وســكان الإمــارات وأوغنــدا وإيران والسعودية وعمان والمغرب يتضاعفون كل ٢٣ عامًا وسكان مصر يتضاعفون كل ٢٦ عامًا .

---

(١٣) على عبد الرازق جلبى : علم اجتماع السكان ، ص ص ٨٤ – ٨٥

أما سكان الدول المتقدمة فانهم يتضاعفون في مـــدد خياليـــه حيث نجد أن سكان بلجيكا يتضاعف كل ٩٩ عامًا ، وسكان إنجلترا كل ١١٥٥ عاما ، وسكان السويد كل ١٣٨٦ عاما .

على أية حال فإن للعوامل الديموغرافيـــة دورًا فـــي عمليـــة التغير الاجتماعي فحجم سكان أي مجتمـــع يحـــدد طبيعـــة علاقتـــه بالمجتمعات الأخرى كدول الخليج وليبيا وأمريكا واستراليا ، كما أن حجم السكان يحدد شكل العلاقات الاجتماعية ففـــي المجتمـــع قليـــل الحجم تكون العلاقات أولية شخصية أما في المجتمع الكبير الحجـــم تكون العلاقات ثانوية ورسمية . كما أن النمو المزايد أو البطـــيء للسكان له دور سلبي ، فالنمو المتزايد للسكان بصورة تفوق الزيـــادة الإنتاجية كما هو حادث في الدول النامية سيؤدي حتما إلى انخفاض مستوى المعيشة وعدم قدرة المجتمع على مواجهة احتياجات أعضائه التعليمية ، والصحية ، والسكنية . . الـــخ . وكـــذلك النمـــو البطيء للسكان وتناقص أعدادهم يؤدي إلى خطر الانقراض .

كما أن نوع السكان من ذكور وإناث وقدرات كل نوع تحـــدد المكانة الاجتماعية الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة، هذا ويمكـــن القول إن للتعليم دورًا رئيسيًا في انخفاض معدل المواليد ، فقد أثبتت عديد من الدراسات أن نسبة المواليد تـــنخفض بارتفـــاع المســـتوى

التعليمي للزوجين، كما تختلف مشاكل أي مجتمع طبقًا لنسبة الأمية في هذا المجتمع واختلاف المستويات التعليمية عامة . [١٤]

رابعا : العوامل الاقتصادية والتعليمية :

يعد العامل الاقتصادي من أهم العوامل البارزة في التغير الاجتماعي. فالنظرية الماركسية ترى أن العامل الاقتصادي هو العامل المحدد والنهائي للتغير الاجتماعي باعتباره بناءً تحتيًا ، وأن هذا البناء التحتي لا يحدد فقط البناء الفوقي الكلي ولكن يشكله أيضا ، أي أنه يشكل التنظيم السياسي والقانوني والدين والفلسفة والأدب والأخلاق ذاتها . وترى النظرية الماركسية أن التنظيم الاجتماعي في المجتمع الرأسمالي يتجلى في وجود طبقتين الأولى هي الطبقة البورجوازية الحاكمة . أما الطبقة الثانية فهي طبقة البروليتاريا العمالية المحكومة . الأولى تملك كل شيء ، والثانية لا تملك أي شيء ، والصراع بينهما أمر حتمي ، ونتيجة هذا الصراع هو تدمير للمجتمع الرأسمالي ليحل محله النظام الاشتراكي .

ومع إيماننا بأهمية العامل الاقتصادي كأحد عوامل التغير الاجتماعي إلا أننا لا نتفق مع وجهة النظر الماركسية، فوجهة نظرنا هي أن العامل الاقتصادي لا يشكل إلا جانبًا واحداً من جوانب البناء الاجتماعي حيث إن نظم المجتمع (اقتصادية، تكنولوجية، تربوية، أيديولوجية ... الخ) مترابطة ومتداخلة بنائيًا ووظيفيًا ويؤثر كل منها

---

(١٤) حسن الساعاتي وعبد الحميد لطفى .

في الأخرى، فإذا كان للنظام الاقتصادي إثـر علـى بقيـة الـنظم الاجتماعية، فإن البناء الاجتماعي ككل يشـكل النظـام الاقتصـادي ويحدد مجراه .

وبالنسبة للنظام الاقتصادي في الدول النامية والمتخلفة فكلمـا كان النظام الاقتصادي متحررًا ساعد ذلك على سـرعة التغيـرات البنائية الوظيفية، أما إذا كان النظام الاقتصادي مقيدًا أو تابعًا فإنـه يؤدي إلى ضعف سرعة هذه التغيرات أما بالنسـبة لقضـية تنـاول التعليم كأحد عوامل التغير الاجتماعي فإنني يمكن أن أتناولهـا مـن عدة زوايا: –

<u>الزاوية الأولى : الناحية الاقتصادية :</u>

فاستثمار راس المال في عقل الإنسان هو أضـمن اسـتثمار طويل الأجل في الخبرة ، وفي الخلق ، وفي الـوعي الاجتمـاعي ، وفي كافة مقومات المدنية ، فالتعليم وسيلة لتوفير اليد العاملة المدربة ، كما أن الإنسان بالعلم والمعرفة والقدرة على العمـل والإنتـاج ، والقدرة على الخلق والابتكار والإبداع يسـتطيع أن يسـخر قـوى الطبيعة لصالحه ولرفع مستوى المعيشة ولتوفير حياة كريمـة لـه . فالتعليم ليس مجرد نفقة استهلاكية بل إننا نجد عائـدات مـن وراء التعليم . فالتعليم يعطينا الفرصة للتكيف مع هذا المجتمع المتغير من خلال توفيره للمهارات الثلاثة الأساسية وهـي : القـراءة والكتابـة والحساب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري يوفر لنا مهارات نوعية

تلك التي يمكن أن تجدها في الأطباء والمهندسين والمحاسبين والقضاء والعلماء .. . الخ .

الزاوية الثانية : الناحية السياسية :

يُستخدم التعليم كوسيلة للتزويد بالقادة . كما أننا نجد في المجتمعات التي لم تحصل على استقلالها السياسي كفلسطين مثلاً يستخدم التعليم كأداة من أدوات النضال الوطني والسعي إلى حصول أهل البلاد أنفسهم على إدارة شئون بلادهم حيث حصلت مدينة غزة على استقلالها في سبتمبر ٢٠٠٥ .

الزاوية الثالثة : الناحية الاجتماعية :

يعتبر التعليم وسيلة للتقدم الاجتماعي ، كما أنه يساعد على تقليل التفاوت الاجتماعي والسياسي . والتعليم في الدول النامية أدى إلى تغير هذه المجتمعات لكي تساير ركب الحضارة الحالية من خلال اكتشاف وتنمية مواهب الأفراد . والتعليم يساعد الفرد على التكيف في حياته ، والتغلب على المشكلات التي تواجهه . كما يعد التعليم بمثابة سوق للزواج المفيد حيث يستطيع الشباب القادرون على الزواج أن يختاروا زوجاتهم من بين أندادهم في التعليم . ولقد أدرك الفلاح المصري في العقود الأخيرة أهمية التعليم ولذا فهو يسعى جاهدًا دون إكراه كما كان من قبل إلى ضرورة تعليم أبناءه.

خامساً : العوامل التكنولوجية :

للتكنولوجيا دور كبير في الحياة الاجتماعية كما أن لها تـــأثيرًا في تغيير المجتمع من حيث استخدام المجتمع لها. ويقصد بالعوامل التكنولوجية كل ما يبتكره الإنسان بهدف إشباع حاجاته المختلفـــة أو المتعددة .

فالتكنولوجيا تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة كاستخدام الطاقة الذرية ورحلات الإنسان إلى القمر وازدياد الترابط بـــين دول العالم من خلال وسائل الاتصال.

وترجع النظرية الماركسية التغير الاجتمـــاعي إلـــى التطـــور التكنولوجي أي تطور قوى الإنتاج (القـــوى البشـــرية أو الماديـــة)، ويرى ماركس أن نقطة البدء في التغير الاجتماعي تبدأ من تطـــور قوى الإنتاج، هذا التطور يؤدي إلى خلل في التـــوازن بـــين قـــوى الإنتاج المتطورة وعلاقات الإنتاج المختلفة " وهي تلك العلاقات التي يفرضها العمل بين القائمين به " والتي أصبحت عقبـــة أمـــام قـــوى الإنتاج. وهذا التناقض يعتبره ماركس القوة المحركة للتاريخ.

كما نجد "وليم أوجبرن" يرى في نظريته الشـــهيرة " التخلـــف الثقافي " أن العامل التكنولوجي له دور في التغير الاجتماعي حيـــث يميز "أوجبرن" بين ثلاثة أنواع من الثقافة : ثقافة مادية، وثقافـــة لا مادية، وثقافة تكيفية .

وتشتمل الثقافة المادية على المصانع والمنازل والآلات والمواد الخام والسلع والمواد الغذائية وغير ذلك من الأشـــياء الماديـــة .

وتشتمل الثقافة غير المادية على أساليب استخدام الأشياء المادية ابتداء من كيفية استخدام أي أداة حتى الأعراف والعادات الجمعية والمعتقدات والفلسفات والقوانين والحكومات. أما الثقافة التكيفية فهي ذلك الجزء من الثقافة غير المادية التي تتكيف للظروف المادية . ولكن عناصر الثقافة الحديثة لا تتغير بنفس الدرجة أو السرعة . حيث إن بعض أجزاء الثقافة تتغير بسرعة أكثر من الأجزاء الأخرى ونظرًا للترابط المحكم بين أجزاء الثقافة فإن أي تغير في أي جزء منها لابد وأن يُحدث نوعًا من التكيفات في الأخرى ، وإلا فإن ذلك يؤدي إلى وجود هوة ثقافية تجعل المجتمع في حالة من اللا التوافق . وكقاعدة عامة يتخلف عادة التغير في الثقافة اللامادية عن التغير في الثقافة المادية. ومن الأمثلة التي يشير إليها "أجبرن" أن اختراع الأدوات المنزلية الحديثة التي توفر جهود المرأة شجعها على الخروج من المنزل ، والتحرر ، والمطالبة تدريجيًا بحقوقها ، وأن اختراع المصعد الكهربائي قد مكن من إقامة المباني الشاهقة الارتفاع ، والتي لا تصلح لتربية الأطفال ، وبالتالي إلى انخفاض معدل المواليد في المدن .

ويقول "أجبرن" أن المجتمع لا يتقبل بسهولة الاختراعات حتى وإن كانت مفيدة وذلك بسبب الاختلالات الاجتماعية الناتجة عن هذه الاختراعات وإلى العادات السائدة، وإلى تحفظ كبار السن، وإلى الخوف من الجديد والتمسك بالماضي والقديم . وهذا معناه أن الاختراع وحده لا يكفي لإحداث التغيير بل يجب أن يصاحبه تقبل

اجتماعي ولا يتم هذا التقبل إلا بعد فترة من الزمن يسميها "أجبـــرن" الهوة الثقافية .

ويتعرض العالم منذ الثورة الصناعية وحتى الآن لتغيرات فـــي شتى مناحي الحياة وبصورة لم يسبق لها مثيل ، حيث الاختراعـــات التكنولوجية التي لم يقف تأثيرها عند نوع الآلة المستخدمة أو نـــوع الإنتاج وكميته ، وإنما كان لها رد فعل عنيف في أشكال العلاقـــات الإنسانية والاجتماعية حيث أدت الاختراعات التكنولوجية إلى التغير في شكل الأسرة من الممتدة إلى النووية ، كما أنهـــا غيـــرت مـــن الوظيفة التقليدية للمرأة ، وكذلك أحدثت تغيرات في التنظيم الطبقـــي وفي توزيع السكان وفي وسائل الاتصال والمواصلات وفي الاقتصاد والسياسة والحروب والعلاقات الدولية بل غيرت مجرى التاريخ .

وعلى أيه حال فإنه مهما كان حجم التقدم التكنولـــوجي ، فإنـــه لكي يؤدي دوره بفاعلية ، فإنه لابد أن يحتاج إلى أيدي عاملة متعلمة ومدربة جيدًا ، حتى تستطيع استيعاب الوســـائل التكنولوجيـــة بـــل وتطورها . فالآلة مهما كانت درجة تقدمها – طبقًا لوجهة النظر الماركسية – فإن لا قيمة لها إن لم تجد الإنسان المـــدرب والمـــتعلم القادر على استيعابها وتحويلها من مجرد هيكل بنائي إلى قيم وظيفية متجددة ، ويبدو أن "ماركس" كان يريـــد أن يلهـــب حمـــاس طبقـــة البروليتاريا نحو ضرورة وضع حد للتناقض بـــين قـــوى الإنتـــاج المتطورة وعلاقات الإنتاج المتخلفة وقد نجح في ذلك حيـــث نجـــاح

ثورة روسيا عام ١٩١٧ وماتت هذه الثورة عام ١٩٩ . بعد أن استمرت حوالي ٧٣ عامًا .

ويمكن بعد هذا العرض أن نميز بين ثلاث مجتمعات لمعرفة أثر التكنولوجيا:

١- مجتمع يعتمد على قوة عضلات أفراده ، هو مجتمع متخلف معزول استهلاكي .

٢- مجتمع يعتمد على طاقة الحيوانات . هذا المجتمع قادر على تطوير أساليبه الزراعية وبه فائض إنتاجي، ولدى أفراده تضامن اجتماعي .

٣- مجتمع يعتمد على التكنولوجيا، حيث آلات رفع المياه والبخار والكهرباء والنشاط النووي. هذا المجتمع متقدم، وهو قادر على تنفيذ المهام المعقدة وإشباع حاجات ملايين من السكان.

وهناك تقسيم للأمم المتحدة لتصنيف دول العالم إلى متقدمة ونامية ومتخلفة على أساس المستوى التعليمي الذي يتمثل في نسبة المعلمين في المرحلة الأولى والثانية، ونسبة المهندسين والعمال لكل ١٠,٠٠ . من السكان ونسبة الأطباء وأطباء الأسنان لكل ١٠,٠٠ . من السكان . ونسبة القيد في مراحل التعليم المختلفة وكذلك المقيدين في الجامعات والتعليم العالي، ونسبة الإنفاق على التعليم للدخل القومي. " كل هذه المقاييس توضح الحد الفاصل بين التقدم

والتخلف، هذا بافتراض أن الدول المتقدمة متقدمة أيضًا في التكنولوجيا .

الفصل الخامس

مناهج البحث وأدواته وتصميمه في علم الاجتماع

تصميم البحوث

يقصد بتصميم البحث كافة الإجراءات التي يمر بها الباحث منذ لحظة التفكير في المشكلة إلى كتابة التقرير النهائي للبحث .

ويجدر الإشارة هنا إلى أن هناك تداخلًا وثيقًا بين مراحل البحث العلمي الأمر الذي يجعل عملية الفصل بين مرحلة وأخرى أمرًا غاية في الصعوبة. فالخبرة البحثية على الرغم من أنها تؤكد على عملية تتابع مراحل البحث العلمي في أثناء العرض، إلا أنه في أثناء البدء في إجراءات خطوات البحث قد يقفز الباحث على بعض المراحل.

كيف تعد بحثًا علميًا في علم الاجتماع؟

يشعر الباحث عند بدء الكتابة في موضوع البحث بالعجز عن الكتابة، حيث إن الكتابة في موضوع البحث لا تكون من فراغ، فعلى الباحث أن يتعمق في دراسة النظريات والدراسات السابقة، وتبدأ الكتابة عندما تنضج الأفكار في عقل الباحث بشرط أن ينظم الباحث هذه الأفكار، حيث يمكن له أن يحدد موضوع البحث وافتراضاته وأهدافه. ويجب أن يراعي الباحث أهمية عدم تكرار ما تم كتابته، وأن يكون على وعي بكيفية الربط بين أفكار المنظرين بالواقع الاجتماعي، وكيفية الإفادة من منظورات علم الاجتماع في تحليل المادة الحقلية، أما عمليات جمع القشور والحصول على قضايا

مبعثرة من كتابات الدرجة الثانية أو الدراسة السطحية السريعة لقضايا المنظورات المختلفة، واقتباس فقرة من هنا ومن هناك بلا رابط بينهما، كالجمع بين آراء الماركسيين والبنائيين والتلفيق بينهما، فهذا أمر بعيد تمامًا عن مهام الباحث العلمي بل ويشوه البحث.

وعندما يتعمق الباحث في دراسة النظريات وقضاياها، والدراسات السابقة والقضايا التي تثيرها هذه الدراسات، هنا يمكن للباحث أن يحدد مشكلة بحثه، ويحدد أنسب المناهج للكشف عن حقيقة هذه المشكلة، وأنسب طرق وأدوات جمع البيانات والمعلومات، وكيفية ترتيب هذه البيانات وتوظيفها لخدمة أهداف البحث حيث إن من أفضل البحوث هي تلك البحوث التي تتسم بخاصيتي التراكم والتكامل، وأن يكون هناك ارتباط بين البحث العلمي والبحث التطبيقي. فعلم الاجتماع لا يستحق ساعة عناء إذا تحول إلى علم مكتبي بين جدران أربعة، فالباحث في علم الاجتماع عليه ألا يغمض عينيه عن مشكلات المجتمع حتى يساهم في فهم قضايا هذا المجتمع، ويساهم في فهم مشكلات أفراد هذا المجتمع، ورفع المعاناة عنهم، وتقديم الحلول التي تخفف شقاءهم.

فالبحث في علم الاجتماع له أهمية علمية أي بحث من أجل البحث حيث يتم من خلاله اختبار نظرية أو أكثر من النظريات، والوصول إلى مجموعة من الحقائق يمكن أن تعد أساسًا لنظرية جديدة أو تدعم نظرية موجودة بالفعل، هذا من ناحية، ومن ناحية

أخرى فإن البحث في علم الاجتماع له أهمية عملية أي البحث من أجل التطبيق، بمعنى أنه يجب أن يكون البحث من أجل خدمة المجتمع ورفاهيته عن طريق فهم المشكلات التي تواجهها الأفراد والجماعات. وتحسين قدرتنا على فهم الواقع الاجتماعي وتغييره أو تفسيره، وترجمة هذا الفهم إلى أهداف عملية تهدف إلى إحداث تغيرات واقعية في المجتمع. ويمكن لأي باحث مجتهد أن يحقق عملية الارتباط الوثيق بين البحث العلمي والبحث التطبيقي كما يلي:-

١-مراجعة كافة النظريات الكبرى والصغرى التي تفسر الموضوع الذي يشغل اهتماماته.

٢-كيفية توظيف قضايا النظريات السابقة في خدمة المجتمع عن طريق الوصول إلى تفسير لمشكلة بحثه.

-وعلى الباحث أن يشغل نفسه بالعديد من التساؤلات التي يجب أن يجيب عليها بنفسه، منها ما التخصص الدقيق الذي أرغب فيه؟ ما الذي يشغل اهتماماتي؟ وما معنى الموضوع الخاص؟ وكيف أكتب في هذا الموضوع؟ ولماذا أكتب فيه؟ وكيف اختار هذا الموضوع؟ وما القواعد التي يجب مراعاتها عند اختيار الموضوع؟ وما الهدف من الموضوع؟ وكيف أستخدم قائمة المكتبة؟ وكيف أبحث عن المراجع؟ وكيف أستخدم قائمة المراجع؟ وكيف أستخدم الفهرسة؟ وكيف أرتب المادة العلمية التي تم جمعها؟ كل هذه التساؤلات

وغيرها التي يجب أن ينشغل بها الباحث وهو يعد موضوعه بطريقة منهجية.

فالقيام ببحث علمي أصيل، يجب على الباحث أو الطالب أن يثبت أنه قادر على تطوير المادة التي تخصص فيها، وهذا يستلزم من الباحث معرفة كل ما قيل عن الموضوع من خلال الدراسات الأخرى، والعمل على اكتشاف شيء جديد ربما لم يتمكن الآخرون من الحديث عنه أو الكتابة فيه قبل ذلك. فالمهم هنا أن يقوم الباحث بإعادة ترتيب وقراءة الدراسات السابقة التي تساعده على صقل وترتيب أفكاره بطريقة تمكنه من أن ينجز عملا يقول فيه شيئا جديدًا.

كما يجب أن يتم إعداد موضوع البحث بشكل فيه الكثير من التأني، حيث إن البحث المتسرع وغير المنتظم كثيرًا ما يؤدي بنا إلى الخلط بين المصادر الأصلية والمصادر الثانوية، كما أن العجلة في إعداد الموضوع تجعلنا نجد أنفسنا أمام موضوعات سيئة تثير اشمئزاز وضيق من يقرأها ، ولا تُسعد من قام بإعدادها.

إن الأمر المهم هنا هو مدى نضج الباحث وقدرته على العمل البحثي. وعلى الطالب أن يراعي في اختياره لموضوع معين أحواله الاقتصادية، فقد تكون أحوال الطالب الاقتصادية ليست على ما يرام، وقد تكون هناك عادات وتقاليد تحول بين بعض الطالبات وخاصة في صعيد مصر وبين التردد على المراكز البحثية والمكتبات

الأجنبية وخاصة مكتبة الجامعة الأمريكية ومكتبة الاسكندرية والتردد على معارض الكتب .... إلخ.

فالتعليم في مصر قبل عام ١٩٥٢ كان قاصرًا على الطلاب الذين يأتون من أسر غنية، إلا أنه حتى مع مجانية التعليم والأزمة المالية، فإن البحث العلمي أمر مكلف للغاية، الأمر الذي يجب فيه على الطالب أن يختار موضوعًا يتفق وإمكانياته المادية ووقته وجهده بل وعاداته وتقاليده.

وهناك نماذج سيئة من الطلاب الذين يسعون إلى الحصول على درجة علمية بأقصى سرعة ويستخدمون العديد من أساليب التحايل منها استثمار مبلغ من المال وتكليف أحد الأشخاص بإعداد موضوعه، أو أن يقوم الطالب بنقل موضوع سبق تقديمه منذ عدة أعوام في جامعات أخرى، وغيرها من أساليب التحايل المتعددة والمعروفة في الوسط العلمي.

وهناك العديد من النماذج السيئة التي تشير الى أسوأ نماذج عدم الأمانة العلمية، كأن يطلع الطالب على بحث منشور تناول موضوعًا مهما، فيأخذ الطالب كافة الأفكار الموجودة في هذا البحث ويقوم بعمليات تحوير وتعديل وتحايل، وينشر بحثا بنفس الموضوع دون أن يشير إلى صاحب الفكرة والفضل في تقديم هذه الأفكار، مدعيا أنه هو صاحب هذه الأفكار، ولا تساهم مثل هذه البحوث في خاصية التراكم والتكامل العلمي، وأنني أزعم بأن تفش عمليات التحوير

والتعديل والتحايل هو السبب في تدني وضع علم الاجتماع وعدم مصداقيته بعض الباحثين فيه، بل أحيانا يصل الأمر ببعض الطلاب بنقل نفس المادة العلمية بمراجعها من بحث آخر، مدعيًا أنه رجع إلى هذه المراجع. ويبدو أن التنشئة العلمية القائمة على عدم الأمانة العلمية تؤدي إلى خلق شخصيات لديها من أساليب التحايل والغرور والتزييف بما يساهم في تشويه الواقع وينبئ بمستقبل غامض للعلم.

فاختيار موضوع البحث يتطلب أن يكون لدى الطالب إمكانيات معقولة في أن يخصص من وقته بضع ساعات يوميا، بهدف إعداد هذا الموضوع بشكل يرضيه ثقافيا، وليس بالضرورة أن يكون الطالب مليونيرًا ، وإنما الأهم هو أن يكون الطالب جادًا في تحقيق هدفه، حيث إن العمل الجاد يؤدي إلى نتائج مفيدة حتى وإن كان يتناول موضوعًا هامشيا ، فمنهجية العمل والخبرات المستفادة تأتي في المقام الأول، والموضوع يأتي بعد ذلك ، فترتيب الأفكار وتنظيم البيانات نوع من العمل المنهجي، وهذا يعني بناء شيء ما قد يسهم في إفادة الآخرين.

كما يجب أن يكون إعداد البحث العلمي بالنسبة للطالب بمثابة قضاء وقت ممتع، حيث إن التفاصيل التي يتضمنها هذا البحث مفيدة للغاية. والطالب يجب أن يكون لديه علم وممارسة في الميدان البحثي، والأمر المهم هو أن يقوم الطالب بالعمل عن متعة، فإذا ما اختار موضوعًا يهتم به، وقرر أن يخصص له الوقت المناسب

لبحثه فإنه سيدرك أن العمل يمكن أن يكون بمثابة لعبة أو مراهنة أو عملية بحث عن كنز مفقود. والطالب هنا سوف يشعر بالرضا عند التوصل إلى تفسير لمشكلة كانت تبدو مستعصية، فعلى كل طالب أن يعيش موضوع بحثه ويعتبره تحدي له، وأن يفكر دومًا في الخطوات المنهجية لهذا البحث حتى يصل إلى النهاية، رغبة في تحقيق حلم الراحة أو الإجازة، إلا أن طبيعة الباحث المجتهد عندما ينتهي من بحث معين، يكتشف أن لديه قدرة بحثية جيدة تجعله يواصل بحثه، وأن موضوع بحثه الذي أعده بشكل جيد يعد بمثابة الحب الأول الذي يصعب نسيانه، فهو العمل العلمي الأول الذي قام به الطالب بكل دقة وجدية ولقد صدق ابن خلدون حينما قال: "إن قيمة أي عمل تكمن فيما بُذل فيه من جهد".

ولكن ما القواعد التي يجب توافرها عند إعداد موضوع البحث؟

يمكن القول أن هناك خمس قواعد أساسية يجب مراعاتها عند إعداد موضوع البحث هي كما يلي:

١-يجب أن يستغرق الموضوع اهتمام الطالب، ويدخل في دائرة تخصصه الدقيق.

٢-يجب أن تكون مصادر البحث متاحة أي يستطيع الطالب الحصول عليها.

٣-يجب أن تكون المصادر التي يستخدمها الطالب سهلة

الاستخدام أي في دائرة القدرات الثقافية للطالب.

٤-يجب أن يكون الإطار المنهجي للموضوع في متناول يد الطالب، وفي إطار خبرته.

٥-يجب أن يدرك الطالب أهمية حسن اختيار الأستاذ المشرف، حيث إن بعض الطلاب غالبا ما يتخاذلون عن البحث عن الأستاذ المناسب، فقد يقبل الأستاذ الموضوع من منطلق الغرور العلمي، وبعد ذلك لا يجد الأستاذ نفسه قادرًا على مواصلة الإشراف على الرسالة.

مراحل تصميم البحث :

ويمكن عرض مراحل تصميم البحث كما يلي :

١ – المرحلة التصورية التكوينية الاستنباطية :

وهي تلك المرحلة التي تتضمن كيفية تحديد مشكلة البحث، والمصادر التي تؤدي إلى ظهور المشكلة، وصياغة مشكلة البحث، وطرق تحديد المفاهيم التكوينية التصورية، وشروط المفهوم التكويني، وصياغة فروض أو تساؤلات البحث وأساليب هذه الصياغة وشروطها، كما تتضمن أيضًا صياغة الإطار النظري للدراسة، وأنواع النظريات، ووظائفها وأهم المداخل النظرية الحديثة.

٢ – المرحلة الإجرائية :

ويقصد بها مرحلة الرجوع إلى الواقع ومحاولة اختبار

الفروض أو التساؤلات التي تم تحديدها في المرحلة الاستنباطية، فهي تلك المرحلة التي يتم من خلالها تحويل العملية الاستنباطية deduction process إلى عملية استقرائية Induction process أي الرجوع إلى الواقع لاختبار الفروض والنظريات التي تم تحديدها في المرحلة الأولى، والباحث وهو مستغرق في العملية الإجرائية لا ينسى إطلاقًا مفهوماته التكوينية وفروضه أو تساؤلاته ونظرياته حيث إن البحث بمراحله المختلفة عملية مترابطة الخطوات .

٣- **وهي مرحلة الجدولة والتفريغ والتحليل والتفسير والتأويل أو** الهرمنيوطيقا Hermeneutics

ويقصد بمرحلة الجدولة والتفريغ أن يقوم الباحث بنقل البيانات التي جمعها من الميدان إلى جداول تسمى جداول التفريغ ويحدد لكل سؤال جدول تفريغ خاص به وذلك بنظام الحزم .

أما مرحلة تحليل البيانات فيقصد بها طريقة عرض المادة التي تأتي إلينا من الميدان سواء كانت كمية " أي تحليل إحصائي والنسب المئوية ". أو مادة كيفية أي تلك التي تعبر عن جوهر الأشياء وعن معانيها الخفية ، وذلك بهدف إعطاء صورة وصفية دقيقة للبيانات التي تم جمعها .

أما مرحلة التفسير فهي تلك المرحلة التي يعود فيها الباحث إلى الفروض والنظريات، ويقصد بها تلك التفسيرات التي يدخلها الباحث

على البيانات ، وهي نوع من الشرح والتوضيح يمكنان الباحث من أن يلقي الضوء على البيانات التي يقدمها، وأن يوضح ما استخلص منها، وأن يكشف عن بعض الدلالات التي تظهر من الميدان.

أما مرحلة تأويل البيانات : (الهرمنيوطيقا)

فالتأويل مرحلة أعلى من التفسير، يحاول الباحث في هذه المرحلة القفز فوق النتائج بل والتحليق فوقها لكي يجعلها تنطق بما لا تنطق به على نحو مباشر، وهذا هو جوهر التأويل الذي يعني عدم التسليم بما هو ظاهر، ومحاولة البحث عن المعاني والدلالات الأبعد التي لا تبدو للعيان من المادة التي أمامنا. لذا فان التأويل هو نوع من الاستقراء الاستدعائي أو هو نوع من الاستقراء المتعالي على النص.

كيفية تحديد مشكلة البحث:

إننا عندما نتناول مشكلات البحوث فنحن لا نقصد بها مطلقا وجود مشكلات عملية نحاول أن نتصدى لها بالحل ، وذلك فهم خاطئ يرتبط أكثر بالجوانب التطبيقية في العلوم الاجتماعية ، لذا فإننا في علم الاجتماع ننظر إلى مشكلة البحث بوصفها مشكلة معرفية أي مشكلة توجد في عقولنا ، وفى نطاق ما نعرف بشأن قضية معينة ، أو مجموعة مترابطة من الحقائق الاجتماعية ، أو حتى مشكلة واقعية يعاني منها الناس. فظهور مشكلة البحث تعني وجود إشكالية معرفية (أي وجود منطقة غامضة في تفكيرنا بشأن

موضوع ما من موضوعات الحياة الاجتماعيـــة ، وهـــذه المنطقـــة الغامضة من التفكير تثير عددًا من التساؤلات حول موضوع البحث .

فالمشكلة البحثية تظهر إذًا في أدمغة الباحثين وفي عقولهم وهي تعبر عن نفسها في شكل أسئلة محيرة تحتاج إجابة .

المصادر التي تؤدي إلى ظهور المشكلة البحثية:

من أهم المصادر التي تؤدي إلى ظهور المشكلة البحثية ما يلي: –

١ – **المشاهدات الخارجية :**

أي ملاحظتنا لسلوك معين يتكرر دون معرفة سبب ظاهر لهذا التكرار، الأمر الذي يترتب عليه طرح أســـئلة حـــول أســـباب ظهور هذا السلوك والظروف المحيطة به .

٢ – **قراءة التراث البحثي :**

فقد تكشف قراءتنا للتراث البحثي عن موضوع معـــين أن هناك ثغرة في هذا التراث الأمر الذي يدفعنا نحو محاولة سد هـــذه الثغرة .

٣ – **قراءة النظريات السابقة :**

قراءة النظريات السابقة قد تكون مصدرًا لظهور المشـــكلة البحثية فقرائي لنظرية الفعل عند "تالكوت بارسونز" قد تجعلني أتأمل الواقع الذي أعيش فيه ودراســـة التوازنـــات الداخليـــة والخارجيـــة

والدراسة من الداخل ومن الخارج وهكذا الحال في كافة النظريات السابقة .

٤ – الميول الشخصية والاهتمامات الخاصة :

قد تظهر المشكلة البحثية من خلال الميول الخاصة للفرد الأمر الذى يدفعه إلى مراجعة التراث البحثي المتعلق بالموضوع ذي الجاذبية للباحث ؛ كموضوع العشوائيات والأطفال اللقطاء ، وميل الشباب إلى الثقافة الهابطة ، والزواج العرفي والمواقع الإباحية على شبكة المعلومات الدولية ، وظواهر القتل الجماعي في صعيد مصر كالثأر في بيت علام ، ومظاهر البلطجة في نجع حمادي ، والقتل الجماعي في الحجيرات وظواهر البلطجة الانتخابية وتلفيق الاتهامات وإطلاق الأعيرة النارية ، والعصبية القبلية ، وإن انصراف ذهن الباحث إلى دراسة مشكلة بحثية معينة تعد بمثابة نقطة البداية في البحث، وتمكن الباحث في مراحل لاحقة من البحث أن يتخلى عن التحيز في الدراسة فتكون دراسة موضوعية وإلا فإن دراسته تصبح بحث أقرب إلى علم الخطابة منه إلى علم العمران.

استخدام فروض أو تساؤلات للبحث :

تختلف عملية تحديد تساؤلات الدراسة طبقا لاستراتيجية البحث فإذا كان البحث وصفي استطلاعي هنا نكون بصدد عرض

تساؤلات عامة وتساؤلات فرعية تغطي كافة جوانب البحث حيث إن مثل هذه البحوث لا تتناول العلاقة بين متغيرات .

أما إذا كنا بصدد دراسة تتناول العلاقة بين متغيرات أو اختبار نظرية ، يجب علينا هنا صياغة فروض، فالفروض هي تفسير مؤقت لعلاقة بين متغيرين.

أساليب صياغة الفروض :

من أساليب صياغة الفروض ما يلي :

١ – توضيح العلاقات السلبية أو الإيجابية بين المتغيرات.

كأن تقول توجد علاقة إيجابية أو سلبية بين متغير وآخر .

٢ – صياغة علاقات صفرية بين المتغيرات .

كأن تقول لا توجد علاقة إيجابية أو عدم وجود علاقة أصلاً.

الشروط التي يجب أن تتوافر في صياغة الفرض:

١ – أن تعبر عن العلاقة بين المتغيرات بشكل احتمالي واضح.

٢ – أن تكون قابلة للاختبار بمعنى أن توجد مادة دالة عليها في الواقع.

٣ – يمكن جمع البيانات للتدليل على صحة الفرض أو رفضه.

٤ – يجب أن يكون الفرض قابلا للرفض أو القبول.

٥ – يجب أن يكون الفرض خاليًا من التناقض ولا يتنافى مع

وثائق معروفة سلفًا.

٦ – أن يتفق الفرض مع الحقائق العلمية الراسخة، وهذا لا يمنع من أن يأتي الفرض معارضًا لنظرية من النظريات التي شاعت بين العلماء.

٧ – صياغة الفرض بشكل منطقي واضح بدون غموض أو خيال حيث يبدأ الباحث صياغة فروضه من العام إلى الخاص، وكأن يبدأ بصياغة فرض عام ثم يستنبط منه عددًا من الفروض الفرعية، وأن يبدأ بالفروض العامة وينتهي بالفروض الخاصة .

وللفروض أهمية في تقييم البحوث التي تسعى إلى اختبار علاقة بين متغيرات، أو حتى في البحوث الوصفية التي يمكن للباحث أن يصيغ المشكلة فيها في صورة تساؤلات لعدم توافر البيانات أو النظريات التي تمكنه من صياغة الفروض ، ورغم أن الفروض تصاغ في بداية البحث إلا أنها تظل دوما حاضرة مع الباحث في كل مرحلة من مراحل بحثه .

صياغة الإطار النظري :

لا دراسة أو بحث بدون الالتزام بمدخل نظري ، فالعلم بناء منهجي من ناحية وبناء نظري من ناحية أخرى، والنظرية هي نسق مترابط من المفهومات أو الأفكار أو القضايا وهي تقدم تفسيرًا لمجموعة من الحقائق أو الظواهر، وهذه القضايا تُعد بمثابة قوانين عامة تحكم هذه المجموعة من الحقائق أو الظواهر أو

تكشف عن العلاقات السببية بينها ، فالنظرية تضفي قدراً من الفهم والمعقولية على الواقع .

أنواع النظريات :

١ – نظريات كبرى : تفسير العالم على نحو شمولي عام .

٢ – نظريات وسطى : تتشكل من عدد من القضايا تعتبر مجالاً خاصًا من مجالات الحياة الاجتماعية .

٣ – نظريات عينية: تتكون من التصميمات التي تؤثر بشكل مباشر على مجموعة من الوقائع أو الظواهر والتي تسمى أحيانًا بالنموذج.

وظائف النظرية :

١ – المخزن الذي تشتق منه الفروض.

٢ – تساعد الباحث في تفسير نتائج بيانات بحثه .

٣ – تقدم المفهومات والمصطلحات التي تصنف بها جوانب من الحياة الاجتماعية وتفسرها .

٤ – تشكل مجموعة من الأفكار العامة التي توجه مسار البحث وتخلق له سياقًا أو مجالا محددًا.

٥ – النظرية هي أداة التراكم في النظام العلمي .

المداخل النظرية في علم الاجتماع :

١ – النظرية الوظيفية الكلاسيكية (دور كايم – بارسونز – ميرتون)

٢ – النظرية الوظيفية المحدثة (لوهانا وألكسندر)
٣ – نظرية الصراع (ماركس – دارندهوف – وكوزر)
٤ – نظرية التبادل والاختيار الحر (مارسيل موس – وهومانز)
٥ – الفينومينولوجيا الاجتماعية (شوتز)
٦ – الاثنوميثودولوجيا (فينكل)
٧ – التفاعلية الرمزية (بلومر)

مناهج البحث وأدواته في علم الاجتماع:

لعلم الاجتماع دوران أساسيان لا غنى لأحدهما عن الآخر ويبدو في إطارهما دور العلم كاملاً : الدور الأول نظري يمكن من خلاله التعرف على طبيعة الحقائق الاجتماعية ونشأتها وتطورها ودراسة العلاقات بين الأفراد؛ التعاون، الصراع، ودراسة الوظائف الاجتماعية التي تحكم ظواهر علم الاجتماع .

الدور الثاني عملي: وهو دور تطبيقي عملي حيث الاستفادة من الدراسة النظرية في الجوانب التطبيقية العملية للحياة الاجتماعية للوصول إلى القوانين التي تحكم سير الحياة الاجتماعية .

ومن أهم المناهج في علم الاجتماع هي:

١- المنهج التاريخي :

ويقصد به تتبع سير الظاهرة الاجتماعية قديمًا وفي الوقت الحالي ، ذلك لأن الوصول إلى تعميمات صادقة في علم الاجتماع

يستند إلى أن يثبت هذا الصدق في ضوء الأبعاد الزمانية والمكانية المختلفة.

ومن أهم المصادر التي يستند عليها هذا المنهج ما يلي: -

(١) الوثائق التاريخية المكتوبة منها كالمذكرات والمخطوطات. وقد تكون شفوية كالحكم والأمثال والأساطير والأغاني، وقد تكون مصورة كالنحت والرسم والصور والنقود والآثار.

(٢) الإخباريون أي الأشخاص الذين لاحظوا الظاهرة وشاهدوا تلك الوقائع.

(٣) المراجع المهتمة بتاريخ الثقافة.

٢- المنهج التجريبي:

وهذا المنهج مستعار من العلوم الطبيعية ويتم تطبيقه في علم الاجتماع - رغم اعتراضات البعض عليه - على أساس جمع البيانات بطريقة تسمح باختبار عدد من المفروض عن طريق التحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع الدراسة والوصول بذلك إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج.

٣- منهج دراسة الحالة :

ويقصد به جمع البيانات بصورة تفصيلية تشمل جميع جوانب الحالة التي يدرسها الباحث والتي قد تكون شخصًا أو جماعة من الأشخاص كالأسرة أو النظام الاجتماعي أو المجتمع المحلي.

٤- منهج المسح الاجتماعي:

ويقصد به وصف الجوانب المتعلق بموضوع الدراسة ، والتي قد تكون مجتمعًا أو جماعة، وجمع حقائق الواقع الاجتماعي في صورة كمية وكيفية حتى يمكن تفسيرها وصولاً إلى وضع فروض لعلاقات جديدة.وهناك نوعان من المسوح:

- مسح شامل لجميع مفردات المجتمع .
- مسح بالعينة أي اختبار عينة ممثلة (عشوائية – طبقية – عمدية).

٥- المنهج المقارن:

ويقصد به مقارنة ما سجله الباحث عن الظاهرة موضوع الدراسة في مجتمع معين بما هو مسجل عن نفس الظاهرة في مجتمع آخر مشابه له أو مختلف عنه في نفس الزمن ، أو المقارنة بين الظاهرة الاجتماعية في نفس المجتمع ولكن في فترتين زمنيتين متعاقبتين .

أدوات جمع البيانات :

هناك العديد من الأدوات التي يستخدمها الباحث في علم الاجتماع منها ما يلي: –

١- الملاحظة :

ويقصد بالملاحظة أن يوجه الباحث حواسه وعقله إلى طائفة خاصة من الظواهر لا لمجرد مشاهدتها بل لمعرفة صفاتها

وخواصها وتفحص الوقائع البسيطة على أن تكون الملاحظة مركزة بعناية، وأن تكون موجهة لغرض محدد.

وهناك نوعان من الملاحظة هما :

أ- الملاحظة المنظمة : وتستخدم لأغراض الوصف والتشخيص للتأكد من صحة الفروض.

ب- الملاحظة بالمشاركة: وهي تقتضي المعيشة الكاملة للباحث مع عينة البحث لملاحظاتهم من أجل التعمق في معرفة خصائصهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويشترك أن يقبله مجتمع البحث كأنه واحد منهم.

٢- المقابلة :

وهي حوار لفظي وجها لوجه بين الباحث والمبحوث (شخصًا أو مجموعة أشخاص) بهدف الوصول إلى المعلومات التي تعبر عن الآراء أو الاتجاهات.

وهناك نوعان من المقابلة هما :-

أ- مقابلة حرة : ترك المبحوث يتحدث عن آرائه ومشاعره ورغباته

ب- مقابلة مقننة : يتحكم فيها المبحوث بنوع معين من الأسئلة .

٣- الاستبيان :

وهي إعداد استمارة بها مجموعة من الأسئلة للحصول على بيانات ويمكن تنفيذها عن طريق المقابلة الشخصية أو البريد.

٦- نظريات علم الاجتماع :

النظرية في علم الاجتماع تعد بمثابة مجموعة من القضايا المترابطة منطقيًا والقابلة للتحقيق الإمبريقي والواقعي وتنطوي على دعاوى ومسلمات أساسية .

ويجب الإشارة إلى أن البحث دون سند من نظرية أو دون اتجاه نظري ليس إلا نوع من العبث ، وذلك لأن النظرية في علم الاجتماع مستمدة أصلًا من نتائج دراسات عملية أجريت فعلًا في الواقع الاجتماعي وليست مستمدة من النظر العقلي المجرد .

وتؤدي النظرية في علم الاجتماع الوظائف الآتية:

١- تلخيص عدد من الحقائق الاجتماعية وأيضًا العلاقات الموجودة بينها وتنسيقها في إطار علمي متكامل .

٢- التنبؤ بما يحدث للظاهرة من تحول في إطار التغير الذي يحدث في المجتمع ككل أو في الجماعات أو المجموعات، وهذا التنبؤ مبني على قياس المستقبل المجهول بالحاضر المعلومة وقائعه وأحواله ، وكذلك في ضوء ما أمكن استقراؤه من التجارب الاجتماعية التي وقعت في الماضي .

٣- تساعدنا النظرية على إحداث التغيرات التي نريدها في البيئة التي تحيط بنا، فالنظرية لكي تكون مقبولة عليها أن تتيح لنا السيطرة على البيئة المحيطة بنا وأن تقدم لنا أيضًا تفسيرًا للوقائع والظواهر التي تحكمها.

٤- تمدنا النظرية بالمعرفة عن الأشياء التي تخضع للملاحظة وهي بذلك تؤدي وظيفة إخبارية أو معرفية تشبع واحدة من أقوى الحاجات الإنسانية وهي حاجة الإنسان إلى معرفة البيئة المحيطة به.

ومن هذا المنطلق يمكن إدراك أهمية استخدام النظرية في البحث العلمي.

ولقد كانت هناك العديد من النظريات المتصارعة التي تفسر الظواهر الاجتماعية ، وكانت أشبه بوجهات نظر فلسفية، وكانت تتسم بغموض المفاهيم، ووهن العلاقات بين القضايا المتضمنة لها . حيث إن محاولات تفسير الإنسان للوقائع والظواهر المحيطة به قديمة قدم المجتمع الإنساني نفسه ، ومن أمثلة هذه النظريات كتابات رجال اللاهوت وسقراط وأفلاطون وأرسطو ومونتسكيو وفولتير وبنتام.

كما ظهرت نظريات ذات العامل الواحد أي تعتمد في إدراكها للواقع الاجتماعي على جانب واحد من الجوانب المكونة لهذا الواقع، ومنها النظرية الجغرافية وتنطلق هذه النظريات من قضية مؤداها أن عناصر البيئة الجغرافية (الموقع ودرجة الحرارة أو المناخ) هي

العامل المؤثر في الظواهر الاجتماعية ، ومن رواد هذه النظرية ابن خلدون وكتيليه وجيري – وكذلك النظرية البيولوجية وهي من النظريات ذات العامل الواحد ، ومؤدى هذه النظرية أن التكوين الفيزيقي (البيولوجي الجسمي بخصائصه المختلفة التي هي نتيجة التفاعل بين الوراثة والبيئة) للفرد هو العامل الحاسم في تفسير الظواهر الاجتماعية (لمبروزو).

ونجد أيضًا النظرية النفسية التي ترى أن التكوين النفسي والعقلي للفرد هو العامل الحاسم في تفسير الظواهر الاجتماعية مثل نظرية "فرويد " إلا أننا في علم الاجتماع نجزم بعقم كافة النظريات السابقة في تفسيرها للظواهر الاجتماعية ، ذلك لأن الظاهرة الاجتماعية تتسم بالتكرار ، ويصطبغ تكرارها بالانتظام في بعض قطاعات البناء الاجتماعي.

فالنظريات السوسيولوجية تتناول الظواهر الاجتماعية باعتبارها واقعة متكررة الحدوث في البناء الاجتماعي وثقافته، كما تهتم أيضًا بالتغيرات التي تطرأ على صور الظاهرة ، ومداها في المجتمع الواحد

ويمكن تلخيص كافة النظريات السوسيولوجية في إطار نوعين من النظريات :

الأولى: هي النظرية الماركسية:

ترى هذه النظرية أن العامل الاقتصادي هو المحـــدد الرئيســـي لبناء المجتمع وتطوره وأن هذا العامل هو المحدد الأساسي لمكونات البناء الفوقي ؛ الفلسفة الدين، الأيديولوجيا، الفن، العلـــم، القـــانون. وترى الماركسية أن تاريخ المجتمعات هو تـــاريخ الصـــراع بـــين الطبقات ، وأن كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات يحدث فيهـــا تغيرات كمية تتراكم هذه التغيرات حتى تحدث تغيرًا كيفيًا ينقلها إلى مرحلة تالية، وأن النموذج الشيوعي هو النموذج الأمثل .

النظرية البنائية الوظيفية :

تستخدم هذه النظرية المماثلة بين المجتمع والكـــائن العضـــوي فالكائن العضوي يتألف من أجزاء كل جزء يسهم في بقاء واستمرار الكائن العضوي في حياته ومحافظًا على كيانه الكلى.

فالمجتمع من وجهة نظر رواد البنائية الوظيفيـــة مـــا هـــو إلا مجموعة من الأنساق تسهم في بقاء المجتمع ككل واستمراره محافظًا على توازنه . وهذا الإسهام هو الوظيفة التي يؤديها النظام الجزئي من أجل استمرار الكل ، وهي تماثل الوظائف التي يؤديها أعضـــاء الجسم وأجهزته حتى يستمر وجوده.

إلا أن هناك فارقًا في المماثلة بين البنـــاء العضـــوي والبنـــاء الاجتماعي ويتلخص هذا الفارق في أن توقف أي جهاز فـــي البنـــاء العضوي عن أداء عمله يموت البناء العضوي ويفنى، إلا أن توقـــف

أي نسق اجتماعي عن أداء دوره في البناء الاجتماعي لا يؤدي إلى فناءه . فعملية الإحلال والإبدال قائمة ، فالموت لفرد أو لجماعة لا يؤدي إلى فناء المجتمع .

والقضايا الرئيسية التي تعتمد عليها هذه النظرية هي كما يلي:

١- أنه يمكن النظر إلى أي شيء سواء كان كائنا حيًا أو اجتماعيًا وسواء كان فردًا أو مجموعة أو مجتمعًا أو حتى العالم بأسره على أنه نسق أو نظام، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة. فجسم الإنسان نسق يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة.

٢- لكل نسق احتياجات أساسية لابد من الوفاء بها، وإلا فإن النسق سوف يفنى أو يتغير جوهريًا، فالجسم الإنساني يحتاج للأكسجين والنتروجين، والمجتمع في حاجة لأساليب تنظيم السلوك الإنساني (القانون) ومجموعة لرعاية الأطفال (الأسرة) وهكذا.

٣- لأبد أن يكون النسق دائمًا في حالة توازن ، ولكي يتحقق ذلك فلابد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته فإذا اختلت وظيفة أحد الأجزاء فإن الكل يصبح في حالة عدم اتزان .

٤- كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيًا أي يسهم في توازن النسق وقد يكون ضارًا وظيفيًا أي يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفي أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

٥- يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلاً يمكن أن تقوم بها الأسرة أو دار الحضانة، وحاجة المجتمع إلى التماسك قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي .

٦- وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة، فالتحليل الاجتماعي الوظيفي لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف.

وهدف التفسير الوظيفي هو الكشف عن كيفية إسهام الأجزاء في تحقيق تكامل النسق واستمراريته أو كيفية الإضرار بهذه الاستمرارية.

وسميت بالبنائية الوظيفية لأنها تحاول فهم المجتمع في ضوء البنيات التي يتكون منها هذا المجتمع والوظائف التي تؤديها هذه البنيات .

الخطوات الإجرائية للبحث العلمي:

أ – التعريفات الإجرائية للمفهومات (أي تعريف المفهوم بالخطوات المتبعة في قياسه) والتي تعد نقطة الوصل بين ما هو تصوري وما هو إجرائي وتحتاج إلى تفكير عميق من الباحث لكي يحول المفهوم التكويني النظري التصوري الاستنباطي إلى مؤشرات واقعية يمكن

قياسها في الواقع بما يجبر الباحث على ضرورة الرجوع للدراسات السابقة.

ب – تحديد المادة الواقعية الإمبريقية المطلوبة للبحث أو ما يسمى بعبء الإثبات . وعلى الباحث هنا أن يتساءل كيف يمكن تحديد المادة الواقعية المطلوبة للبحث، وما هي البراهين الدالة على صحة ما نفترض أو ندعيه نظريًا، حتى لا يبتعد الباحث عن أهداف بحث. والمادة الإمبريقية ليست بالضرورة أن تكون مادة ميدانية، فقد تكون ميدانية أو غير ميدانية.

مصادر المادة الإمبريقية ما يلي :

١ – المادة التاريخية وهي التي تؤخذ من المصادر التاريخية الأصيلة أو الثانوية لموضوع البحث كبداية لدخول الموضوع .

٢ – المادة الثانوية ، حيث يجمع الباحث دلائل على موضوع الدراسة من بحوث ودراسات سابقة.

٣ – المؤشرات الإحصائية وهي مادة جاهزة كالمسوح والتقارير والتعدادات والإحصاءات عن مختلف المجالات والتي تجريها الهيئات المتعددة المعنية بالظاهرة.

٤ – المادة الميدانية وهي تلك المادة التي يجمعها الباحث من خلال الاستبيانات ودراسة الحالة والملاحظة والتجارب والتي قد تكون: –

أ – مادة كمية: أي تُجمع بشكل رقمي، وهي التي تجمع من خلال المقاييس والاستبيانات.

ب – مادة كيفية: أي تلك تُجمع من خلال المقـــابلات المتعمقـــة أو دراسة الحالة أو الملاحظة أو الإخباريين .

حـــ – مادة موقفية: أي التي تجمع من خلال مواقف الحياة اليومية، أو مواقف تجريبية (مجموعة ضـــابطة ومجموعـــة تجريبيـــة)، أو مواقف تمثيلية (إما يشاهدون موقف تمثيلي أو يقومون به).

د – مادة اتصالية: وهي تلك المادة التي توفرها لنا وسائل الاتصـــال الجماهيري والخطب السياسية وبرامج الأحزاب .... . الخ ، وقد تكون مكتوبة أو غير مكتوبة .

ويمكن للباحث أن يعتمد على مادة واحدة ، وقد تتعدد المصادر وفقا لأهداف البحث.

الفصل السادس

المشكلات الاجتماعية في الريف المصري

المشكلات الاجتماعية :

وتتمثل هذه المشكلات في عدة أمور منها ما يلي :-

أ- تفشي بعض العادات والتقاليد التي تحد من التطور وتُعد معوقًا للتنمية ومن هذه العادات والتقاليد الفهم الخاطئ لحق القصاص في الإسلام مما أدى إلى تفشى ظاهرة الأخذ بالثأر. وكذلك تفشي ظواهر التعصب القبلي الديني ، والتمسك ببعض الأمثال الشعبية التي تشجع على السلبية والتواكل . وعلى سبيل المثال فإن من طبيعة المجتمع القروي أن يحول دون خروج المرأة إلى العمل خوفًا من مشاركتها في الحياة ونضج وعيها حيث يقولون في أمثالهـــم (اللي تخرج من دارها يتقل مقدارها) كما يقولون (قعدتي بين أعتابي ولا قعدتي بين أحبابي) كما أن هناك أمثال تشجع على عدم الإقبال على العلاج الطبي والاستفادة من التقدم العلمي في هذا المجال حيث يقولون (اسأل مجرب ولا وتسأل طبيب).

ب- تفشي بعض القيم السلبية التي تُعد أحد المقومات الأساسية أمام تنظيم الأسرة ومكانة المرأة في المجتمع الريفي ومن بين هذه القيم والمعتقدات ما يلي :-

١- التباهي بكثرة إنجاب الذكور

حيث نجد في الريف تفشي المثل القائل " العزوة حلوة " حيث إن الأولاد يمثلون قوة إنتاجية من ناحية ، واجتماعية من ناحية أخرى لهم ، فهم قوة إنتاجية لأنهم يقومون بكثير من العمليات الزراعية منذ طفولتهم ، وهم أيضًا قوة اجتماعية لدورهم في تحقيق هيبة العائلة ومكانتها وسطوتها في المجتمع القروى. وينسى أهل الريف أو يتناسون أن التفاخر في القرن الحادي والعشرين ليس بالعدد ، وإنما بنجاح الأسرة في

تأدية دورها في إعداد الأولاد وتربيتهم في ضوء متطلبات عصر التكنولوجيا والعولمة ، كما أن تحقيق الهيبة والسطوة والمكانة لم يكن إطلاقًا بكم الأولاد ، بقدر ما يكمن في كيفية إعداد هؤلاء الأولاد خاصة وأن الدولة أعطت للقانون والنظم السائدة في المجتمع القوة في حماية كافة الأسر على سواء.

٢- تفضيل الذكر على الأنثى

ويكون هذا التفضيل مبني على عدة أسس ما زال يؤمن بها كافة أفراد المجتمع الريفي ونحن في أوائل القرن الحادي والعشرين ومن هذه الأسس أن الذكور يحافظون على اسم الأسرة في نسلها ، كما أن ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى ، فهم بذلك يحافظون على ملكية الأسرة بعكس الأنثى التي تنقل ملكيتها إلى أسرة زوجها. وهناك العديد من المظاهر التي يمكن أن نشاهدها في بعض الأسر الريفية والتي تدعم هذا التفضيل أن النساء يتناولن طعامهن بعد الرجال ، وغالبًا ما يكون أقل منه في المقدار ، فالرجل يعمل وينتج أما المرأة فدورها واهن وضعيف. وهناك من الأمثلة السائدة في ريفنا المصري تؤكد على مبدأ التفضيل منها " من كثرت بناته صارت الكلاب صهراته ، أم الغلام تستأهل الإكرام ، يجعل عزوته رجاله " ، إلا أننا يجب أن نذكر أهل الريف بأن تعليم الفتاة وخروجها إلى العمل جعلها تتفوق عليه في مجال التعليم والعمل ، فالفتاة قبل زواجها وبعد دخولها في مجال العمل تساهم في ميزانية أسرتها ، في حين أن الفتى قبل زواجه وبعد دخوله العمل لا يساهم في ميزانية أسرته ، هذا بالإضافة إلى دور الفتاة بعد الزواج في المساهمة في تدبير ميزانية أسرتها الجديدة بالمشاركة مـــع زوجها .

٣- الاعتقاد في أن الإبن الوحيد يجب أن يعوض ما لم تقدر عليه أمه .

حيث يعتقد أهل الريف أن الإبن أو الإبنة الوحيدة ترث قلة النسل ، ولذا فإن على الإبن الوحيد أو الإبنة الوحيدة أن يسعيا بقدر الإمكان إلى زيادة الإنجاب وذلك تعويضًا عما لم تقدر عليه أمهما ... ويجب أن نذكر أهل الريف أن القدرة على العمل من الأمور التي لا تورث ، وأنه يجب أن نعطي للنشء الجديد الحرية في كيفية تكوين الأسرة وفى تنظيم الإنجاب طبقًا لظروفهم .

٤- الاعتقاد في أن تنظيم النسل تدخل في مشيئة الله وكفر به

ويسود هذا الاعتقاد في المجتمع الريفي المصري حيث إن معظم أفراده لا يخططون لمستقبل حياتهم ، وإنما يتركون أمورهم للحظ والمصادفة . ولذا فإن دور الوعي والإرشاد الديني مهم جدًا في بيان أحكام الدين الحنيف الحقة في هذه الأمور ، فالدين الإسلامي حض على استخدام العقل والتفكير والعلم في تخطيط حياة الإنسان ، وبذل الجهد والعرق في سبيل كسب العيش ولا تعارض مطلقًا بين تعاليم الدين واتخاذ الإنسان ما يراه في مصلحته ويحقق صحة الأم ويتناسب والإمكانيات الاقتصادية للأسرة .

٥- الاعتقاد في أن المحافظة على الزوج لا تتم إلا بكثرة الإنجاب :

حيث يسود هذا الاعتقاد بين النساء الريفيات ويبررن ذلك بأن كثرة الإنجاب كفيلة بأن تستهلك الموارد الاقتصادية للزوج التي لا تجعله يفكر في الزواج مرة أخرى ، بل ويسود بينهن المثل الشعبي " قصقصي ريش

طيرك ليلوف بغيرك " وتتم هذه المقولة عن طريق استنفاذ موارد الزوج الاقتصادية بالصرف على الأولاد الكثيرين . وهذا بالطبع اعتقاد خاطئ لأن الفيصل في تفكير الزواج بزوجة أخرى ليس مجرد اقتصاديات الزوج بل قد تكون اقتصاديات الزوجة الجديدة من العوامل المؤثرة في الزواج علاوة على زوجته ، كما أن زيادة مسئولية الأعباء إلى الدرجة التي تثقل كاهل الزوج وتفوق طاقاته الاقتصادية قد تضطره إلى الهروب من الحياة الزوجية ، خاصة وأن مسئوليته الشرعية لا تتعدى ربع أجره أو مرتبه ، وكما يقول مثل آخر يعارض المثل الأول " إذا كنتي عايزة جوزك يطير خلفي له عيال كثير ".

وهنا نعرض بعض العوامل والمتغيرات التي إن فكرت فيها الزوجة العاقلة تجعلها لا تقبل على الإنجاب بكثرة حتى يمكن أن تحافظ على زوجها ومنها ما يلي :-

- لا تتمكن الزوجة بكثرة الإنجاب وتكراره من المحافظة على قوامها وجمالها وصحتها ، كما أن ذلك يتطلب رعاية عدد كبير من الأولاد وهذه الرعاية تؤثر بلا شك في صحة الأم الجسمية والانفعالية والعاطفية وينعكس ذلك على علاقتها بزوجها .
- لا تجد الأم مع العدد الكبير من الأولاد وقتًا مناسبًا لتراعي مصالح زوجها ، اللهم إلا إذا أهملت مصالح أولادها .
- المشكلات والمضايقات الاقتصادية والمالية الناشئة عن عدم كفاية الدخل وعدم توازنه مع متطلبات الكثرة العددية تقضي على إمكانية محافظة الزوجة على زوجها .

- كثرة الإنجاب تؤثر تأثيرًا سلبيًا على صحة الأم مما يستلزم بندًا خاصًا لعلاجها ورعايتها الطبية.

إذا فالنجاح والاستمرارية للأسرة وتماسكها واستقرارها لا يتحقق بالكثرة العددية بل قد تكون هذه الكثرة سببًا في انهيارها وتصدعها.

٦- الاعتقاد في أن الأولاد مصدر رزق للأسرة .

حيث إن أهل الريف بصفة عامة يعتقدون في أن الأولاد مصدر رزق للأسرة فزيادة عدد الأولاد تسهل للأب عملية فلاحة الأرض إذا كان مالكها لها ، أما إذا كان عاملاً أجيرًا فإن زيادة عدد الأولاد تمكنه من أن يزيد من دخل الأسرة من خلال تشغيلهم في العمليات الزراعية ، إلا أن الواقع الذي قد يجهله أهل الريف يؤكد أن زيادة عدد الأولاد تعد تكلفة لا يقابلها عائد إلا بعد مدة طويلة خاصة مع إلزامية ومجانية التعليم الأولي ، ومن الواجب على الباحثين في كافة المجالات المتعلقة أن يذكروا أهل الريف بهذه الحقيقة .

فالأسرة لكي تؤدي واجبها على أكمل وجه خاصة في عصر العولمة لابد من الآتي :

- حسن اختيار طرفيها كل منهما الآخر.
- إدراك كل من طرفي الأسرة لواجباته ومسئولياته في الكيان الأسرى.
- توفير مصدر الدخل اللازم لتوفير الضروريات اللازمة لحياة الأسرة والتخطيط السليم لأوجه إنفاق هذا الدخل ، مع العمل على أن يكون هناك رصيد مدخر لمواجة الطوارئ.

- تزويد طرفي الأسرة بالمعلومات الأساسية في مختلف نواحي الحياة الأسرية وعلى الأخص الثقافة الجنسية ، الثقافة الصحية ، نفسية الطفل وأسس تنشئته ورعايته صحيًا وعقليًا ونفسيًا واجتماعيًا ، وكذلك ما يرتبط بالوجبات الغذائية المتكاملة في حدود إمكانيات الأسرة ، الإصلاحات المنزلية البسيطة وكذلك الإسعافات الأولية.
- إيمان طرفي الأسرة بأن الحياة الزوجية تتطلب التعاون والتراحم والتواد بين طرفيها وأن يعمل كل منهما بإيجابية على إسعاد الآخر وإزالة العقبات التي قد تعوق الاستقرار والتماسك الأسرى.

هذا ومن بين الأهداف التي تكمن وراء إقامة وتكوين الأسرة إنجاب الأولاد وتنشئتهم وإعدادهم للحياة حفاظًا على الثروة البشرية وأداء لرسالة متتابعة منذ بدء الخليقة ، إلا أن الإنجاب لا يجب أن يكون الهدف الرئيسي للأسرة ، ولا أن يغالى في تقدير أهميته بحيث يحجب الأهداف الأخرى ، وأهمها المودة والرحمة والتعاون والألفة والمعاشرة الحسنة والحياة المريحة للطرفين. كما أن هذا الإنجاب لا يجب أن يتجه إلى العدد والكثرة ، وإنما إلى الملاءمة بين إمكانيات الأسرة والمجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا وصحيًا ... الخ ، ويوضح العدد الذي يمكن للأسرة إنجابه ، أن تنظيم الإنجاب له أكبر الأثر في حياة الأسرة وتخطيط مستقبلها.

ومما هو جدير بالذكر هنا هو أن الميل إلى كثرة الإنجاب وزيادة عدد الأولاد يتناسب عكسيًا مع المستوى الثقافي لطرفي الأسرة ، فالأسرة

الأكثر ثقافة أكثر إحساسًا بالمسئولية ، وبالتالي أعمق إيمانًا بأهمية تنظيم الإنجاب من الأسرة الأقل ثقافة والتي تدرك إدراكًا حقيقيًا لمسئوليتها في إعداد أطفالها للحياة إعدادًا سليمًا يتفق وتطور هذه الحياة [١٥] .

وهناك العديد من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الريف المصري بصفة عامة ، وفى صعيد مصر بصفة خاصة منها مشكلة التعدي على الأراضي الزراعية تلك المشكلة التي أدت إلى خلق العديد من المعوقات أمام التنمية الزراعية في تحقيق معدلات سريعة للنمو... ومنها أيضًا مشكلة الثأر والتي اعتقد البعض أنها في سبيلها إلى الاندثار إلا أن كارثة بيت علام بجرجا التي وقعت في تمام الساعة السابعة صباح يوم السبت الموافق ١ أغسطس ٢٠٠٢ م والتي راح ضحيتها ٢٢ فردًا من عدة عائلات أمر يجعلنا نعيد النظر في دراسة هذه المشكلة ، فعلى الرغم من أن الثأر تصرف انفعالي يُقصد به إزهاق الروح وبدافع الانتقام الغريزي يقوم به فرد أو أكثر من أقرباء المجني عليه ضد الجاني أو أكثر من الأقربين إليه ، إلا أن الثأر في حقيقة الأمر نظام اجتماعي حيث إن المجتمع كله يعترف بحق الرد العدواني المماثل طبقًا لشروط معينة.

---

(١٥) حسن همام : علم الاجتماع وقضايا في علم الاجتماع الريفي ، كفر الشيخ ، مطبعة الأصدقاء ، ١٩٩٧ .

الفصل الثامن

علم الاجتماع الطبي

الفصل الثامن

علم الاجتماع الطبي

** يعد علم الاجتماع وعلم الطب من العلوم التي تهتم بدراسة مشكلات الانسان في المجتمع ،حيث يسعي الباحثون في العلمين الي استخدام النظريات والمناهج وطرق البحث وأدوات جمع البيانات الخاصة بدراسة المشكلات والقضايا التي تهتم بالإنسان .

** ويهتم العاملون والباحثون في العلوم الطبية بعلم الاجتماع وذلك لأهمية هذا العلم في الاسترشاد بطرق البحث الاجتماعي واساليب دراسته وتحليله لدراسة الظاهر الظواهر الاجتماعية وعلاقه ذلك بالأمراض الشائعة ،ولذا فقد اهتمت كافه دول العالم منذ عقود طويله بتدريس علم الاجتماع في كليات الطب كما ظهرت العديد من فروع علم الاجتماع التي يلتقي فيها تصورات وافكار واراء علماء الطب وعلماء الاجتماع كعلم الاجتماع الطبي

**كما ظهر أيضا علم اجتماع المستشفيات وسوسيولوجيا المستشفى باعتباره أحد فروع علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة الامراض المتوطنة ونظم اداره المستشفى ، واساليب رعاية المرضى ،والطاقة الانتاجية المثلي لكل من الفئات العاملة بالمستشفى كالأطباء ،وهيئه التمريض والفئات المهنية المعاونة الأخرى.

** وهناك علاقة متبادلة بين علم الاجتماع وعلم الطب ويبدو ذلك في

الاستفادة المتبادلة من خبرات تخصصاتهم المهنية ، والاكاديمية فالطبيب لا يمكنه تشخيص حاله مرضاه دون الرجوع الي كثير من المتغيرات السوسيولوجية مثل التاريخ المرضي للمريض وأسرته او ما يعرف بالحالة المرضية والوضع الطبقي، والمهنة والدخل،والاسرة ومستوي التعلم والثقافة وغير ذلك من متغيرات ضرورية قبل او خلال مراحل العلاج التي تقدم الي المريض ذاته.

– عند دراسة الامراض وتوظيفها في المجتمعات وكيفيه القضاء عليها او التخفيف من حدتها يلجأ الاطباء الي الاستعانة بخبرات علماء الاجتماع – وهذا ما اشار اليه كل من فردسون وجلاسر وغيرهم من المتخصصين في علم الاجتماع الطبي والذين اكدوا على أهميه استخدام المداخل السوسيولوجية المختلفة في تشخيص الامراض سواء للمراض او بدراسة طبيعة الامراض التي توجد في المجتمع والاساليب التي تؤدي الي تفاقمها او الحد من سلبياتها . وهذا ما ظهر أخيرا عند دراسة الامراض مثل الايدز ،والسرطان ،والكوليرا ،والتيفويد ،والبلهارسيا وغيرها ، وخاصه وان هناك أنواع معينة من الأمراض تكون متوطنة في مناطق معين دون أخرى كالأنيميا ، وأمراض فقر الدم وأمراض البحر المتوسط وغيرها ، ومن ثم فإن دراسة الأمراض من قبل علماء الطب والاجتماع تقتضي ضرورة التعرف بوضوح علي البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية للمرضي حتى يمكن تقديم سبل العلاج اللازمة والضرورية .

علاوة علي ذلك فان استجابات المرضي للعلاج او التماثل للشفاء او الاستعداد لأجراء عمليات الجراحية للتعامل مع مرضاهم والتي يطلق

عليها علماء الاجتماع الطبي "علاقه الطبيب بالمرضى " والتي على ضوئها يتم معرفة أراء المرضى وتحليل استجاباتهم نحو معالجتهم من الاطباء او هيئات الطب المختلفة ، كما نجد كثيرا من الأفراد المرضى أو البسطاء يرفضون أخد العلاج الذي حدده الطبيب لأن مدخل الطبيب أو أسلوبه أثناء العلاج لم يكن أسلوبا اجتماعيا وهذا ما يفسر مدى اقبال المرضى علي طبيب معين دون الآخر بالإضافة طبعا الي متغيرات الخبرة الطبية والتشخيص الجيد .

ولقد أكدت المنظمات العالمية كمنظمه الصحة العالمية (who) وغيرها من المنظمات الاقليمية والقومية علي ضرورة تبني الأطباء المداخل السوسيولوجية عند معالجة مرضاهم ، أو دراسة أسباب حدوث انتشار الأمراض في مناطق معينة من العالم دون الأخرى ، وكيفية الحد من الآثار السلبية للأمراض الاجتماعية مثل الإيدز علي سبيل المثال ، والتي لا يمكن معرفة أسبابها دون الرجوع الي العوامل الاجتماعية والبيئة المحلية ، والعوامل الأخلاقية والدينية التي توجد في المجتمع وهذا بالطبع في مجال اختصاصات علم الاجتماع .

المقصود بعلم الاجتماع الطبي:

يري "ادوين ليمرت" أن علم الاجتماع الطبي هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة علاقه المجتمع والحياة الاجتماعية بالأمراض المزمنة والانتقالية ، حيث إن المجتمع هو مصدر هذه الامراض ، وكما أن الأمراض تترك آثارها وانعكاساتها على المجتمع والبناء الاجتماعي .

وعلم الاجتماع الطبي كما يعرفه "كينث جونز" بأنه العلم الذي يدرس الجذور الاجتماعية للصحة والمرض وأثرهما علي المجتمع والبناء الاجتماعي. .

ومن أهم الجذور الاجتماعية للمرض :

*الإجهاد اليومي والذي يتعرض له الفرد نتيجة ممارسة عمله اليومي .
* الجهل بأسباب المرض وكيفية تفاديه .
* الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للفرد .
* خبرة الفرد وتجاربه حول المرض .

أما **الجذور الاجتماعية للصحة ما يلي :**

* التقيد بالمواد الغذائية المفيدة للجسم .
* الابتعاد عن العقاقير والأدوية الطبية إلا اذا كانت ضرورية لاستهلاك المريض .
* الابتعاد عن الإجهاد والإعياء الجسمي والعقلي والابتعاد عن التدخين وتناول المسكرات والمخدرات مع تجنب مواطن العدوي والمرض .
* ممارسة الأنشطة الترويحية الإيجابية وتحقيق الموازنة المثالية بين أنشطة العمل و أنشطة الفراغ والترويح .
* جميع المعطيات والعوامل التي تجنب شرور الأمراض والنكبات وتمنح الصحة والحيوية للمرضى من أبناء المجتمع .

أهم آثار الصحة على المجتمع والبناء الاجتماعي ما يلي :

١) تساعد الصحة الفرد على العمل والفاعلية مما يعود بالنفع على المجتمع.
٢) تشجع الصحة الفرد على التفاعل مع الآخرين وتكوين العلاقات الإيجابية معهم مما يساعد على تماسك الجماعات وتضامنها .
٣) تمكن الصحة الدولة من تقليص شراء الادوية والاجهزة الطبية مما يوفر للدولة أموال طائلة يمكن استثمارها في مشروعات تنموية .
٤) تساعد الصحة الانسان على تطوير امكاناته وقدراته علي تحقيق الأهداف التي يصبو اليها .
٥) تمكن الصحة المجتمع من زيادة أفراده عن طريق التكاثر السكاني وأهمية ذلك في استثمار الثروات الطبيعية للمجتمع بما يؤدي إلى شيوع الرفاهية الاقتصادية وبلورتها في المجتمع .
٦) تؤدي الصحة الى زيادة قدرة المجتمع علي الدفاع عن أرضه وسكانه وتراثه.

أما عن السلبيات والمساوئ والشرور المترتبة علي المرض :

١) يؤدي المرض إلى توقف الانسان عن العمل وشل حركته ونشاطه مما يؤثر سلبا في انتاجيته المادية .
٢) تؤدي الوفاة المترتبة على المرض الي تناقص السكان وقلته مما يؤثر سلبا في نشاط المجتمع وتجميد حركته في البناء والتنمية واعادة البناء .
٣) يؤدي المرض والوفاة الي زياده النفقات التي تخصصها الدولة

لمعالجة المرض والتصدي له . كما أن شيوع الأمراض المزمنة والانتقالية يدفع بالدولة الى تخصيص مبالغ مالية لمواجهة المرض ومعالجة ظواهره ومسبباته . كما ان الوفاة تؤدي الى تقلص حجم السكان وتحول دون قدرة المجتمع على استثمار موارده وخبراته الطبيعية مما يقف حجرة عثرة في طريق التنمية والتحول الاقتصادي والاجتماعي .

٤) يؤدي المرض والوفاة الى تفكك الاسرة والجماعات التقليدية في المجتمع مما يؤدي الى قلة انشطتها في تنمية المجتمع وتطويره في المجالات كافة.

٥) إن شيوع الأمراض في المجتمع وزيادة معدلات الوفيات تجعل المجتمع في وضع صعب لا يستطيع من خلاله بلوغ أهدافه وطموحاته القريبة والبعيدة .

٦) المرض والوفاة يعوقان قدرة المجتمع في الدفاع عن أرضه وسكانه وعاداته وتقاليده وتراثه المقدس ، بما يؤدي الى حدوث بلبلة في المجتمع لعجز أفراده عن التكيف مع عاداته وتقاليده .

ما أهمية العلاقات الانسانية بين اطراف المؤسسة الصحية (المرضى والممرضات والاطباء) ؟

إن نجاح أي مؤسسة صحية في أداء دورها يتوقف على مدى رقي وجودة العلاقات الانسانية بين العاملين في المؤسسة الصحية . **وفي ضوء هذه العبارة،** وضح مشكلات العلاقات الانسانية التي

ترجع أسبابها الي المرض من ناحية والممرضات من ناحية أخري . والمقترحات لتطوير واقع العلاقة الانسانية بين الممرضة والمريض .

تشير الأبحاث العلمية الي أن من أهم مشكلات العلاقات الانسانية بين المرضى والممرضات ما يلي :-

أ- الأسباب التي يكون سببها المرضى فيما يلي :

١) عدم التزام المرضى بالقواعد والقوانين المتبعة في المؤسسة كقيامهم بعدم اتباع الاجراءات، ورفض العلاج الموصوف، أو تناول عقاقير دون استشارة الطبيب أو رغبتهم في الخروج من المستشفى دون علم الطبيب، او تناول أغذية ضارة بصحتهم أو عدم ارتداء ملابس المستشفى . وهناك العديد من المواقف التي قد تصدر من المرضى . قد يترتب عليها هشاشة ضعف العلاقات بينهم وبين الممرضات، وقد يكون عدم التزام المرضى بالقوانين ناتج عما يلي :

٢) انخفاض المستوى الثقافي لبعض المرضى أو تشدد وتصلب القوانين المطبقة، او عدم وجود المراقبة والمتابعة حيث يجب أن تكون هناك جهة أخري داخل المؤسسة الطبية تقوم بعملية متابعة تنفيذ المرضى للتعليمات .

٣) شعور بعض الممرضات بأن بعض المرضى يتميزون بالأسلوب الفظ والخشن . فهناك بعض المرضى لا يتحلون بالأسلوب الرقيق والجيد عند التعامل معهن فربما يؤدي سوء التخاطب الى سوء

العلاقة بين المريض والممرضة مما يؤدي الي اغتراب المريض عن الممرضة .

ب) أما عن أسباب ضعف العلاقات والتي يكون سببها الممرضات :

١- عدم مقدرة الممرضات علي تحقيق التوازن الأمثل بين أعباء الأسرة وأعباء العمل الوظيفي :

فالممرضة قد تكون زوجة وأم وربة منزل وقد تكون عضوة في أحد المنظمات ، وربما تعجز بعض الممرضات عن التنسيق بين الأعباء المطلوبة منها بما ينعكس سلبيا علي أداء دورها الوظيفي داخل المؤسسة الطبية ، وقد يترتب علي ذلك ضعف العلاقة بين الممرضة والمريض .

٢ - عدم قيام بعض الممرضات بأداء واجباتهن علي الوجه الأكمل :

من المعروف عالميا أن نسبة الممرضات الى المرضى في الدول المتقدمة هي ١:٥ بينما قد تكون في الدول المختلفة أكثر من ذلك بكثيرٍ مما يؤدي إلى زياده أعباء الممرضة ، حيث تزداد عدد الساعات الليلية التي تقضيها الممرضة مع المرضى مما يؤدي الي إرهاقها نفسيا وجسميا ، وهنا يعتقد بعض المرضى بأن الممرضة مقصرة في أداء واجباتها كما أن الممرضة مسئولة عن واجبات

أخري غير تمريضية تصاحبها في أعمالها .

٣ – عدم احترام بعض الممرضات للمريض:

ربما يكون عدم احترام بعض الممرضات للمريض رد فعل لعدم احترام بعض المرضى للممرضات وعزوفهن عن التعاون معهم، فالممرضة في حقيقة الأمر هي الشمعة التي تحترق لكي تسعد الآخرين ، فهي تعمل على تخفيف آلام المرضى من خلال العناية بهم وتقديم العناية التمريضية والإرشادات الصحية للمجتمع ، وهي العطاء الدائم للجميع ، لذا فإن عدم احترام بعض المرضى للممرضات يسبب إجحافا بحقهن ، ويقلل من عزيمتهن في العطاء المتواصل ويذكرنا بالنظرة السابقة التي كان يحملها المجتمع عن الممرضة ، عندما كانت العنصر النسائي الوحيد الذي يعمل ليل نهار في المجتمع ، ومع ذلك كان المجتمع يظلمها ويقصر في منحها الحقوق التي تستحقها . أما الآن فإن المرأة قد انطلقت في شتى مجالات العمل جنبا الى جنب مع الرجل مما أدى إلى تغيير نظرة المجتمع السلبية تجاه المرأة، بل وأدرك أهمية الدور الحيوي للممرضة في بناء الصرح الحضاري للمجتمع الجديد .

٤ – ميل بعض الممرضات لعكس مشكلاتهن الذاتية في العمل :

تشير الدراسات الميدانية الى أن أكثر من نصف الممرضات يعكسن مشكلاتهن الذاتية والخاصة في العمل بما يؤثر سلبيا في

أدائهن للعمل المناط بهن . فهناك العديد من المشكلات الأسرية أو المجتمعية الناجمة عن تحقيق الحياة وصعوبة سبل المعيشة، وربما تعاني بعض الممرضات من مثل هذه المشكلات. وقد تنعكس هذه المشكلات بصورة غير جيدة علي طبيعة العمل التي تؤديه في المؤسسة الطبية . ولذا يجب علي جميع الممرضات أن يدركوا أن مهنة التمريض لها مواصفات خاصة أهمها الفصل بين المشكلات الذاتية والشخصية ومتطلبات العمل الوظيفي . ومع ذلك لا يمكن لنا أن ننكر دور الظروف الذاتية والموضوعية التي تعيشها الممرضة والتي تجعلها غير قادرة علي الاقتداء بالمواصفات الإيجابية لمهنة التمريض حيث إن هناك بعض الممرضات صغيرات السن ، وهناك ممن يعملن كمساعدات في الأمور التمريضية غير مدركات لقدسية المهنة ، لذا فهن يفتقرن الى الخبرة والدراية بالأمور الصحية والإدارية والاجتماعية التي تتطلبها مهنة التمريض.

٥- افتقار بعض الممرضات لمواصفات المهنة :-

هناك بعض الممرضات يفتقرن الي بعض مواصفات المهنة التي يجب الاقتداء بها ، ومنها مثلا المستوى الثقافي الجيد للمرضة ، والقدرة على الفصل بين المشكلات الشخصية والذاتية من ناحية ومتطلبات العمل الوظيفي من ناحية أخرى ، والحفاظ علي أسرار المريض ...الخ. .

من الصفات المهنية .ولذا فإن ادراك المرضى بأن بعض

الممرضات لا تملكن مثل هذه المواصفات المهنية ، تجعلهم لا ينظرون الى تلك الممرضات نظرة مليئة بالتقدير والاحترام .

٦-انخفاض المستوي الثقافي لبعض الممرضات :-

إن انخفاض المستوى الثقافي لبعض الممرضات يعد أحد العوامل المؤدية الى ضعف العلاقة بين الممرضة والمريض ، لذا فإنه يجب علي الممرضات أن تصقل من خبراتها وتواكب التطورات الحديثة العملية والاجتماعية والصحية السائدة في العالم حتى تتمكن من أداء واجباتها علي أحسن وجه وتتعاون مع الفريق الصحي في أداء مهامها الوظيفية.

* كيف يمكن تقوية العلاقات بين الممرضات والمرضـــــى :-

أفضت الدراسات العلمية في مجال علم الاجتماع الطبي إلى أن هناك بعض التوصيات الموجهة للممرضات من ناحية وللمرضى من ناحية أخري :-

أ) التوصيات الموجهة للممرضات منها ما يلي :-

١- أن تحاول كافة الممرضات الموازنة بين أعباء الأسرة وأعباء العمل الوظيفي بشكل يؤدي الي عدم تقصيرها في أي منهما .

٢- أن تحاول الممرضات القيام بأداء واجباتهن على الوجه الأكمل من حيث الاهتمام بالمرضى ، مع ضرورة توفير الظروف المناسبة

للممرضة والتي تمكنها من ذلك ، حيث التوازن بين نسبة الممرضات ونسبة المرضى ، وتوفير كافة السلع التي تحتاجها أسرتها ، والخدمات التي تتطلبها المعيشة كرياض الأطفال والحضانة .....الخ .

٣- ضرورة قيام الممرضات بالتحلي بمواصفات المهنة كاستيعاب وهضم المعلومات الصحية والفنية التي تحتاجها في مهنتها ، والحفاظ علي أسرار المريض والالتزام بأخلاق المهنة ، والمواظبة علي العمل باستمرار ، واعتبار المريض غاية وليس وسيلة لتحقيق مصالحها ، وعدم الخلط بين المشكلات الذاتية والأعباء الوظيفية .

٤- ضرورة أن تركز معاهد وكليات التمريض على رفع المستويات التعليمية والثقافية للمرضات ، وذلك من خلال رفع متطلبات القبول ومستويات الدراسة ، وتشجيع الطالبات على الدراسة الجدية والقيام بالبحوث النظرية والتطبيقية التي تطور من مهنة التمريض وترفع مستوياتها ، كما يجب علي الممرضات أنفسهن مواصلة دراستهن العليا ، وملاحظة كل ما هو جديد ومبتكر في مهنة التمريض من فنون وتقنيات حديثة وأساليب متطورة في أداء المهنة والوفاء بالتزاماتهن .

ب)التوصيات الموجهة للمرضى لتقوية علاقتهم بالممرضات ما يلي :-

١- ضرورة الاهتمام بتوعية المواطنين بأهمية احترام القوانين والالتزام بنصوصها ، حيث إن ذلك يمكن المرضى من الالتزام بقوانين المستشفى بما يؤدي الي تحسين العلاقة بين المرضى والممرضات .

٢- ضرورة الاهتمام بحث المواطنين علي أهمية الدراسة والاطلاع على

كافة الأمور التي توسع مداركهم وتنمي عقولهم وتزيل عنهم معالم الجهل وضيق الأفق ، بما يترتب عليه خلق روح التعاون وتعميق العلاقات الانسانية بين أبناء المجتمع والممرضات .

٣- علي المرضى تجنب الاعتماد علي الأسلوب الفظ والخشن عند التعامل مع الممرضات ، حيث إن هذا الأسلوب من شأنه أن يؤدي إلي نفور الممرضات منهم وعدم تقديم الخدمات التمريضية لهم ، وعلي المرضى في نفس الوقت استخدام الأسلوب اللين والرقيق ، وانتقاء الألفاظ الراقية التي تشعر الممرضة بأهميتها ، ومثل هذه المعاملة توطد العلاقة بين الطرفين.

٤- علي المؤسسات الصحية أن تتجنب وضع القوانين القاسية التي تقيد حريات المريض ، وتجعله يشعر بأنه داخل سجن لا تتوفر فيه أبسط الشروط والمقومات الانسانية ، وليس في داخل مؤسسة صحية تريد له الصحة والشفاء من المرض .

حيث تشير الدراسات العلمية الي أن القوانين المتشددة والقاسية والتي تفرضها المؤسسات الصحية على المرضى تولد عندهم ردود أفعال سلبية ضد الأشخاص الذين يريدون تنفيذ هذه القوانين (الممرضات) . وهنا تسوء العلاقات الانسانية بين المرضى والممرضات وتصبح الحاجة ماسة الىتبديل صيغ هذه القوانين بقوانين تتميز بالمرونة والديمقراطية والتساهل النسبي .